

تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي

The development of the Christian faith from the sixth to the tenth century AD

إعداد

علي بن محمد بن مانع النعمي

Ali Mohammad Mania Al-Naami

Doi: 10.21608/jasis.2024.367240

استلام البحث ١٢ / ٥ /٢٠٢٤

قبول البحث ٢٥ / ٥ /٢٠٢٤

النعمي، علي بن محمد بن مانع (٢٠٢٤). تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨(٢٩)، ٢٥٣- ٣١٤.

http://jasis.journals.ekb.eg

تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي

المستخلص:

تناولت هذه الرسالة " تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي"، وقد اشتملت على مقدمة، أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن إشكاليَّة الموضوع التي بحثت في نشأة وتطور العقائد الدينية وكيفية الرد عليها من حيث البطلان والفساد، وكذلك يفيد معرفة مصادر نشأة تلك العقائد، والديانة النصرانية واحدة من أكبر الديانات في العالم التي مرَّت بكثير من التطورات عبر أزمنة تاريخية عديدة ومتوالية، فهي بدأت في وسطٍ يهودي مضطهد للنصارى ولم يكتفي بذلك حتى غيَّر فحوى الدعوة الأولى، مرورًا بالحكم الروماني الذي اختلف فيه الباحثون: هل النصرانية التي أثَّرت فيه أم النصرانية هي من ترومنت، والفلسفة اليونانية اختلطت بالوثنية فأدخلت التعددية الإلهية من تثليثٍ وشركٍ مع التوحيد الخالص الذي جاء به المسيح عليه السلام. وعليه: يأتي سؤالي الرئيس في هذه الدراسة؛ ألا وهو: ما أهم التطورات التي طرأت على عقيدة الديانة النصرانية في القرن السادس الميلادي والقرن العاشر الميلادي؟، ومنهج البحث الذي تمثل في المنهج التحليلي الوصفي والمنهج التحليلي المقارن والمنهج التحليلي النقدي، وخطة البحث جاءت في خمسة مطالب بينت تطور العقيدة النصرانية خلال الفترة ما بين القرن السادس والقرن العاشر ميلادي في قضايا عدَّة، ثم نقدها في ظل الدعوة الصحيحة لرسالة عيسى عليه السلام

الكلمات المفتاحية: العقيدة النصرانية، تطور العقيدة، النصرانية.

Abstract:

This thesis dealt with “the development of the Christian belief from the sixth century to the tenth century AD,” and it included an introduction. As for the introduction, I talked about the problematic topic, which examined the emergence and development of religious beliefs and how to respond to them in terms of invalidity and corruption. It is also useful to know the sources of The emergence of these beliefs, and the Christian religion is one of the largest religions in the world that has undergone many developments over many successive historical times. It began in a Jewish environment that persecuted Christians, and that was not enough until it changed the content of the first call, passing through Roman rule about which researchers disagreed: Was it Christianity that influenced him, or

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

was Christianity from Trumanism, and Greek philosophy mixed with paganism and introduced divine pluralism, including trinity and polytheism, with the pure monotheism brought by Christ, may God bless him and grant him peace? , Therefore, my main question in this study comes: Namely: What are the most important developments that occurred in the doctrine of the Christian religion in the sixth century AD and the tenth century AD? , The research method, which was represented by the descriptive analytical method, the comparative analytical method, and the critical analytical method, and the research plan came in five demands that showed the development of the Christian doctrine during the period between the sixth century and the tenth century AD on several issues, and then criticized them in light of the correct call for the message of Jesus upon him. peace

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وأن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله أرسله الله إلى بني إسرائيل ليُصلح حالهم ويخفِّف عنهم ويضع عنهم إصْرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين من لدن آدم إلى محمد، الذين علَّموا البشرية التوحيد ورسموا لها سبيل الفضيلة والنجاة.

وبعد..

تعرَّضت كلُّ الرسائل السماوية قبل رسالة محمد ﷺ إلى التحريف والتبديل من طرف أعداء الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام.

والقرآن الكريم تحدَّث عن هذه التحريفات في أيِّما موضع، أذكر منها قوله تعالى: **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** [البقرة: ٧٩]، ومما جاء في حديث النبي ﷺ في كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير[1] بإسناد صحيح: (**أنَّ عمرَ بنَ**

---

(1) الإمام العلامة شيخ المحدثين عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي،

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الخَطَّابِ أتى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أصابه من بعضِ أهلِ الكتابِ فقرأه على النبيِّ ﷺ، قال: فغضب وقال: أتَتَهوَّكون فيها يا ابنَ الخَطَّابِ، والذي نفسي بيدِه لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيَّةً لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبرونكم بحقٍّ فتكذِّبونَهُ أو بباطلٍ فتُصدِّقونَهُ، والذي نفسي بيدِه لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وَسِعَهُ إلا أن يَتبَعني)، فدلَّ الحديثُ على أن الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام حُرِّف وبُدِّل.

ومن بين الرسالات السماوية التي حُرِّفت سأخصُّ حديثي في هذه الدراسة عن رسالة عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، ولن آتي على بداية التحريف وإنما سأقتصر على الفترة من القرن السادس ميلادي إلى القرن العاشر ميلادي، من خلالها سأتكلم عن تطور عقيدة الديانة النصرانية، ثم سآتي على نقد هذا التطور في ظل رسالة المسيح عليه السلام الصحيحة.

الإشكالية:

إن النظر في نشأة وتطور العقائد الدينية يفيد في كيفية الرد عليها من حيث البطلان والفساد، وكذلك يفيد معرفة مصادر نشأة تلك العقائد، والديانة النصرانية واحدة من أكبر الديانات في العالم التي مرَّت بكثير من التطورات عبر أزمنة تاريخية عديدة ومتوالية من حيث العقيدة، فهي بدأت في وسطٍ يهودي مضطهد للنصارى ولم يكتفي بذلك حتى غيَّر فحوى الدعوة الأولى، مرورًا بالحكم الروماني الذي اختلف فيه الباحثون: هل النصرانية التي أثَّرت فيه أم النصرانية هي من ترومنت، والفلسفة اليونانية اختلطت بالوثنية فأدخلت التعددية الإلهية من تثليثٍ وشركٍ مع التوحيد الخالص الذي جاء به المسيح عليه السلام.

وعليه: يأتي سؤالي الرئيس في هذه الدراسة؛ ألا وهو:

ما أهم التطورات التي طرأت على عقيدة الديانة النصرانية في القرن السادس الميلادي والقرن العاشر الميلادي؟

مما يدفعني إلى طرح التساؤلات الفرعية الآتية:

١- ما دور بولس في تطور العقيدة النصرانية؟

٢- كيف كانت الدعوة إلى العقيدة النصرانية؟

٣- كيف تم التلفيق بين مذهب الخلقيدونيين وغير الخلقيدونيين؟

الدمشقي، الشافعي، مولده سنة إحدى وسبع مئة، تفقَّه وبرع، وألَّف في التفسير والحديث والتاريخ تآليف نافعة مفيدة مشهورة، توفي سنة سبعمائة وأربع وسبعين، عن ثلاث وسبعين سنة وأشهر، انظر: ذيل ابن العراقي على العبر، ولي الدين العراقي، تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، (٢/ ٣٥٩- ٣٦٠).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٤- ما طبيعة الجدال العقدي النصراني؟

٥- ما السيمونية في عقيدة النصارى؟

٦- كيف ننقد تطور العقيدة النصرانية في ظل الرسالة الصحيحة للمسيح عليه السلام؟

أسباب اختيار الموضوع:

السبب الذاتي: شغفي في البحث في مجال الأديان وتاريخها، وخاصة الأديان الكتابية.

الأسباب الموضوعية:

- مرَّت النصرانية -إلى اليوم- بتطورات عقدية تراكمت عبر التاريخ لم يسلَّط الضوء إلا على البدايات، في حين نجد أن مطلع القرون الوسطى وهو من القرن السادس إلى العاشر الميلادي لم يحظَ ببحثٍ واسعٍ رغم ما حدث فيه من تطورات عقدية في الديانة النصرانية.
- ما نجده الآن في كتب التاريخ معظمه من لدن باحثين نصارى تحدَّثوا عن الفترات التاريخية التي مرت بها العقيدة النصرانية.
- **أهمية الموضوع:**

١-صحيح أن البحوث في النصرانية والنصارى كثيرة، إلا أن الفترة ما بين القرن السادس والقرن العاشر الميلادي لم تحظَ بدراسات خاصة رغم ما طرأ فيها من تغيُّرات عقدية.

٢-كانت بداية القرن السادس الميلادي مرحلة تزامن الإسلام مع النصرانية وما حدث فيها من تغيُّرات عقدية، فكان من المهم أن أوضِّحها.

- **أهداف الدراسة:**

تتمثل أهداف هذا البحث في الآتي:

١. تبيين دور بولس في تطور العقيدة النصرانية
٢. توضيح طبيعة الدعوة إلى العقيدة النصرانية
٣. تبيين التلفيق بين مذهب الخلقيدونيين وغير الخلقيدونيين
٤. تبيين طبيعة الجدال العقدي النصراني
٥. التعريف بالسيمونية في عقيدة النصارى
٦. نقد تطور العقيدة النصرانية في ظل الرسالة الصحيحة للمسيح عليه السلام

الدراسات السابقة:

بعد البحث فيما كُتب عن تطور النصرانية من القرن السادس الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، لم أجد إلا بعض الدراسات القليلة وأغلبها تلك التي تحدثت عن

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الموضوع في جزئية من الموضوع الرئيس، وسأذكرها مختصر ما ورد فيها، وسأبيّن ما أزيد عليها أو سأنقد بعض الذي ذكر فيها أو ما سأستفيد منها:

❍ **الدراسة الأولى:((كتاب تحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ أسبابه ونتائجه)):** تأليف بسمة أحمد جستنيه، صادر عن دار القلم بدمشق سوريا، سنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠ مـ.

- **الوصف الخارجي:** يحتوي على ٤٥٥ صفحة بغلاف خشن.
- **الوصف الداخلي:** يحتوى على ثلاثة أبواب كل باب يندرج تحته ثلاثة فصول.

ما يتفق مع بحثي في هذه الدراسة أن الباحثة عنونت الفصل الثالث من الباب الأول: بالآتي: "النصرانية والنصارى من رفع عيسى ﷺ إلى ١٩٦٥م"، وأتت على أهم التبديلات التي طرأت على الديانة في هذه المراحل التاريخية وشملت المرحلة التي أريد بحثها، لكنني سأبحثها بشيء من التوسع والتدقيق إذا سأضبط دراستي من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي فقط، لذلك سأستفيد منها في هذا الجانب وأيضًا سأضيف عليها مظاهر التطورات التي أصابت النصرانية، وأيضًا آثار تلك التطورات.

❍ **الدراسة الثانية: ((تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي العقيدة أنموذجًا)):** رسالة دكتوراه للباحث لعمش عبد الحفيظ، سنة المناقشة ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، من جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة- الجزائر، قسم العقيدة ومقارنة الأديان.

احتوت الدراسة على ثلاثة أبواب يندرج تحت كل منها فصلان، سأستفيد من هذه الدراسة الجزئية التي ذكر فيها الباحث التطور الديني حيث سأمهّد لدراستي بهذا المجال حتى يتسنَّى للقارئ ربط موضوع الدراسة بجذوره التاريخية والمعرفية، ثم أتى الباحث إلى إرجاع التطور التاريخي للنصرانية بعصرها اليهودي؛ ومن ثم قصر بحثه على تطور العقيدة، أما في دراستي فسأزيد عليه في التطرق لكل جوانب التطور الديني للنصرانية، وأيضًا سأضيف في دراستي فترة تاريخية إلى القرن العاشر الميلادي حيث أنه توقف في القرن السابع الميلادي فقط علمًا أنه من بعد هذه الفترة حدثت تطورات عديدة على الديانة سآتي عليها في فصول الدراسة.

منهج الدراسة:

سأعتمد في هذه الدراسة على عدة مناهج علمية أوضِّحها في الآتي:

١- المنهج التحليلي الوصفي:

الذي يساعدني في جمع كافة البيانات والمعلومات عن موضوع الدراسة أو مشكلة البحث الرئيسية التي أسعى إلى حلها، ثم أحلِّل تلك المعلومات والبيانات وأربطها بأسئلة البحث الفرعية؛ وبالتالي أحقق أهداف البحث وأصل إلى نتائجه.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٢- المنهج التحليلي المقارن:

الذي سأستخدمه في المقارنة بين النصرانية والجماعات النصرانية الأولى، والنصرانية والجماعات النصرانية في الفترة ما بين القرن السادس والعاشر الميلادي، وإن كانت جزئية يسيرة في البحث إلا أنها تفرض نفسها حتى يكون هناك تسلسل للقارئ في التطورات العقدية للديانة النصرانية.

٣- المنهج التحليلي النقدي:

وهو المنهج الذي أرتكز عليه في نقد تطور العقيدة النصرانية في ظل الرسالة الصحيحة للمسيح عليه السلام.

التبويب:

المقدمة

مدخل تمهيدي:

أولا: الأصل في الأديان هو الثبات.

ثانيا: دور بولس في تحريف عقيدة النصارى.

المطلب الأول: الدعوة إلى العقيدة النصرانية

المطلب الثاني: التلفيق بين مذهب الخلقيدونيين وغير الخلقيدونيين

المطلب الثالث: الجدال العقدي النصراني

المطلب الرابع: نيل الدرجات الكهنوتية بالمال(السيمونية)

المطلب الخامس: تحليل ونقد تطور العقيدة النصرانية في ظل الرسالة الصحيحة للمسيح عليه السلام

الخاتمة: وتتضمن التوصيات والنتائج.

مدخل تمهيدي

أولا: الأصل في الأديان هو الثبات

من المعلوم أنَّ الأصل في الدين هو الثبات وعدم التغير أو التطور، وجميع الأديان السماوية جاءت إلى البشرية بكل ما من شأنه صلاح الإنسان في دينه ودنياه، وعندئذٍ لا يُتصوَّر منعُ ما يضرُّهم بالأمس وإباحته في الغد، بل إن المنع جارٍ في جميع الأعصار والأمصار، وثابتٌ في كل الأديان والمِلَل والنِّحَل، وهكذا يجري تقرير الشيء وإباحته أو منعه في غالب أحكام الشرع، فإذا تغيَّر فإنما يتغير تبعًا للمصلحة في قضايا يسيرة لا تكاد تُذكر أمام الثوابت، ومن أجل هذا لم يدخل النَّسْخ -وهو من أحكام الشريعة وموجود في كل مِلَّة- إلى الكثير من أحكام الدين، بل يطال بعض الأحكام التكليفية فقط التي يجوز دورانها مع المصلحة وجودًا وعدمًا باختلاف الأشخاص والأزمان.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وقد قال الآمدي[٢]: "المقاصد الخمسة التي لم تَخْلُ من رعايتها مِلَّةٌ من الملل، ولا شريعة من الشرائع، وهي: حفظ الدِّين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. فإن حفظ هذه المقاصد الخمسة من الضروريات وهي أعلى مراتب المناسبات"[٣].

فالمتتبِّع للقضايا الثابتة في الشرائع يلحظ أن العقائد والضروريات والآداب يمتنع تغييرها أو تبديلها بنَسْخٍ أو غيره[٤] في جميع الملل، ونصوص الأئمة متضافرة ومتكاثرة ومتواترة تدل على هذا الأمر وتوضِّحه بأبين بيان وأوضح برهان.

قال مسعود التفتازاني[٥]: "محلُّ النَّسخ: حكم شرعي فرعي لم يَلحقه تأبيد[٦]، ولا

---

(٢) أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي، الملقب سيف الدين الآمدي؛ كان في أول اشتغاله حنبلي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي، والآمدي: نسبة إلى آمد، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، (٤/ ٢١٦).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ، (٣/ ٢٧٤).

(٤) يلفت الإمام القرافي في هذا الباب نظر القارئ إلى أمر مفاده: أن المتأمل في جميع الفنون كالتفسير والأصول وشروح الحديث وغيرها يجد قولهم: إن شريعة الإسلام ناسخة لغيرها من الشرائع، فيبيِّن مرادهم بقوله: «وأما نسخ شريعة بشريعة فذلك لم يقع بين الشرائع في القواعد الكليَّة، ولا في العقائد الدينية، بل في بعض الفروع» شرح تنقيح الفصول، القرافي، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، (ص: ٢٣٠-٢٣١)، وقال: «هذا الإطلاق وقع في كتب العلماء كثيرًا، فالمراد: أن الشريعة المتأخرة قد تنسخ بعض أحكام الشريعة المتقدمة، أما كلها فلا؛ لأن الله تعالى أجرى عادة في الشرائع؛ أنه لا ينسخ منها قواعد العقائد بأصول الدين، ولا ينسخ الكليات الخمسة... فحرَّم القتل، والسكر، والزنا، والسرقة، في جميع الشرائع» نفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - والشيخ علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م،(١٩٣٢/٤)، ونقله عنه السبكي وأقرَّه، انظر: الإبهاج شرح المنهاج الإبهاج في شرح المنهاج، السبكي وولده التاج، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزمزمي - الدكتور نور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، (١٢١/٢)، وكذلك الزركشي، انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ، (٣٣٠/٤).

(٥) مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازاني عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين، شافعي المذهب، ولد سنة ثنتي عشرة وسبعمائة، وأخذ عن القطب والعضد، وتقدَّم في الفنون، واشتهر ذكره، وطار صيته، وانتفع الناس بتصانيفه،

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

توقيت، فخرج الأحكام العقلية"[7]، ومراده بالأحكام العقلية: العقائد، ولهذا يقول السمرقندي[8]: "وإنما قيَّدوا بالحكم الشرعي لأن الأحكام العقلية، وهي: وجوب الإيمان، وحرمة الكفر، وكل ما يُعرف بمجرد العقل من غير دليل سمعي فإنه لا يحتمل الارتفاع والعدم بحال؛ لقيام دليله -وهو العقل- على كل حال، فلا يحتمل النَّسْخ"[9].

ويقول صاحب التوضيح[10]: "اعلمْ أن الحكم إما أن لا يحتمل النَّسْخ في نفسه كالأحكام العقلية، مثل: وحدانية الله، وأمثالها"[11]، وكذلك غيرهم في هذا الباب[12][13].

انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، (٢/ ٢٨٥).

(٦) الأصل في الأحكام الفرعية هو الإحكام لا النسخ، حيث أن النادر والقليل لا يكون هو الأصل والأكثر هو خلاف الأصل، بل العكس هو الصواب، وغالب ما ادُّعي فيه النسخ إذا تأمَّله المكلَّف؛ وجده متنازعًا فيه، ومحتملًا، وقريبًا من التأويل بالجمع بين الدليلين على وجه، من كون الثاني بيانًا لمجملٍ، أو تخصيصًا لعمومٍ، أو تقييدًا لمطلقٍ، وما أشبه ذلك من وجوه الجمع مع البقاء على الأصل من الإحكام في الأول والثاني، انظر: الموافقات، الشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٣/٣٣٩-٣٤١).

(٧) التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، التفتازاني، ومعه: التوضيح، لصدر الشريعة المحبوبي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر – مصر، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م (٢/ ٦٤).

(٨) محمد بن أحمد بن أبي أحمد أبو بكر علاء الدين السمرقندى صاحب تحفة الفقهاء أستاذ صاحب "البدائع", شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقَّه على أبى المعين ميمون المكحولى وعلى صدر الإسلام أبى اليسر البزدوى، انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي، عُنى بتصحيحه (وتعليق بعض الزوائد عليه): محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طُبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، لصاحبها محمد إسماعيل، ط١، ١٣٢٤ هـ، (ص: ١٥٨).

(٩) السمرقندي، ميزان الأصول في نتائج العقول، تحقيق: الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، (ص: ٧٠٧- ٧٠٨).

(١٠) صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي، وكتابه:(التوضيح في حل غوامض التنقيح).

(١١) شرح التلويح على التوضيح، التفتازاني، مرجع سابق، (٢/ ٦٤).

(١٢) انظر: فصول البدائع في أصول الشرائع، شمس الدين الفناري، المحقق: محمد حسين محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ،

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ومـــــن الجدير بالذكر أن أهـل العلم عند نصـــِّـــهم علـــــى ثبات الدين، وعـدم تغيُّره، وإنما قد يتغير اجتهاد المجتهد، لا يعني هذا اطراد التغير في الفقه المطلق بل في الجزئية المعروضة عنده ولديه، ومن ثَمَّ ينزل المحلّ الكلي الثابت على المحلّ الجزئي الذي قد يتغير في تصوُّره، وقد لا يكون كذلك، ويخالفه فيه غيره، قال السبكي[١٤]: "خاصية المفتي تنزيل الفقه الكلي على الموضع الجزئي، وذلك يحتاج إلى تبصُّر زائد على حفظ الفقه وأدلته؛ ولهذا نجد في فتاوى بعض المتقدمين ما ينبغي التوقف في التمسك به في الفقه، ليس لقصور ذلك المفتي -معاذ الله-، بل لأنه قد يكون في الواقعة التي سئل عنها ما يقتضي ذلك الجواب الخاص فلا يطَّرد في جميع صورها"[١٥].

فالانتقال بالحكم لهذه المسألة عند قيام المقتضي لا يعني تغيُّر الدين، وهذا يؤكد اطراد ثبات الأديان في جميع الأعصار والأمصار، قال ابن حزم[١٦]: "رسول الله ﷺ أتانا بهذا الدين، وذكر أنه آخر الأنبياء وخاتم الرسل، وأنَّ دينه هذا لازم لكل حيّ، ولكل من يولد إلى القيامة في جميع الأرض.

(١٥٢/٢).

(١٣) هذا الجعل ليس على إطلاقه، فعامة مسائل أصول الدين الكبار؛ مثل: الإقرار بوجود الخالق، ووحدانيته، وغير ذلك مما يُعلم بالعقل: قد دل الشارع على أدلته العقلية، وهذه الأصول التي يسمِّيها أهل الكلام "العقليات" وهي ما تُعلم بالعقل فإنها تُعلم بالشرع، لا أعني بمجرد إخباره فإن ذلك لا يفيد العلم إلا بعد العلم بصدق المخبر، ولا يمكن للعقل الاهتداء إلى مسائل العقيدة التفصيلية، فإن العقول لو تُركت وعلومها التي تستفيدها بمجرد النظر ما عرفت الله معرفة مفصَّلة بصفاته وأسمائه على وجه اليقين، انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة المنورة – السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م ،(١٩/ ٢٣٠)؛ الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، (ص: ٢٤٩).

(١٤) علي بن عبد الكافي بن علي تمَّام بن يوسف بن موسى السّبكي الشافعي المفسِّر الأصولي اللُّغوي، ولد مستهلَّ صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، توفي ليلة الاثنين المسفرة عن ثالث جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة، انظر: طبقات الشافعية، مرجع سابق، (١٣٩/١٠ـ ٣١٦).

(١٥) السبكي، أبو الحسن: فتاوى السبكي، دار المعارف، (٢/ ١٢٣).

(١٦) ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي، ذو الفنون والمعارف، ولد: بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربع مائة، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرًا، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (٢١١/١٨-٢١١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فصحَّ أنه لا معنى لتبدُّل الزمان ولا لتبدُّل المكان، ولا لتغيُّر الأحوال، وأن ما ثبت فهو ثابت أبدًا في كل زمان، وفي كل مكان، وعلى كل حال، حتى يأتي نصٌّ ينقله عن حكمه في زمان آخر، أو مكان آخر، أو حال أخرى"[١٧].

وقال الشاطبي[١٨]: "العوائد المستمرة ضربان:

أحدهما: العوائد الشرعية التي أقرَّها الدليل الشرعي أو نفاها، ومعنى ذلك أن يكون الشرع أمر بها إيجابًا أو ندبًا، أو نهى عنها كراهةً أو تحريمًا، أو أَذِنَ فيها فعلًا وتركًا.

والضرب الثاني: هي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي.

فأما الأول، فثابت أبدًا كسائر الأمور الشرعية، ... فلا تبديل لها وإن اختلفت آراء المكلَّفين فيها، فلا يصح أن ينقلب الحسن فيها قبيحًا، ولا القبيح حسنًا...

وأما الثاني، فقد تكون تلك العوائد ثابتة، وقد تتبدَّل، ومع ذلك فهي أسباب لأحكام تترتَّب عليها"[١٩].

وخلاصة القول: أن الدِّين ثابت، وأن التجديد لا يطاله، وإنما نسمِّيه "تجديدًا" بالنسبة للأمَّة، لا بالنسبة للدِّين الذي شرعه الله وأكمله، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرَّةً بعد مرَّةٍ على الأمَّة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ المبيِّنة له"[٢٠].

وهذا الثبات المذكور آنفًا لا يتناول سوى الأديان السماوية بمبناها ومعناها وحالها الذي كانت عليه عند وجود المبلِّغ لها، أما إذا طرأ عليها شيء، وجرى عليه بعد ذلك التغيير والتبديل فلا يُعَدُّ ذلك نقضًا لما قرَّرناه، فالأديان التي تتصف بالثبات والاستقرار هي الأديان السماوية، وما خالفها فهو محكوم عليه بالزوال وعدم القرار، إذ الأفهام البشرية تختلف مداركها ومستوياتها، وتتنوَّع رغبات أصحابها ومطالبهم،

---

(١٧) الإحكام في أصول الأحكام، قوبلت على الطبعة التي حققها: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (٥/٥).

(١٨) الإمام العلامة المحقق أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي،كان أصوليًّا مفسرًا فقيهًا، محدِّثًا لغويًّا بيانيًّا نظَّارًا، وله تآليف جليلة مشتملة على أبحاث نفيسة، توفي يوم الثلاثاء الثامن من شعبان سنة تسعين وسبعمائة، انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أبو العباس التنبكتي، دار الكاتب، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٠ م، (ص: ٤٨-٥٠).

(١٩) الموافقات، الشاطبي، مرجع سابق، (٢/ ٤٨٨- ٤٨٩).

(٢٠) فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع – الرياض، (٢/ ٢٤٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وعندئذٍ تكون مزيجًا من الأفكار، وخليطا من المعلومات التي لا جذور لها، فلا تحتاج إلى عظيم عناء لتبديلها وهدمها أو تطويرها، فليست سوى زخرف من القول تبدو للناظر لأول وهلة شيئًا متماسكًا، فإذا تأمَّلها بأدنى تأمُّل ظهر له ما يعتريها من خلل، وعندئذٍ يعود عليها بالهدم والإبطال، أو التغيير والتبديل والتطوير، والزيادة في مقدماتها أو نتائجها.

ثانيا: دور بولس في تحريف عقيدة النصارى

رفع الله عيسى عليه الصلاة والسلام إليه وقد قام بدوره في تبليغ الشريعة، وحدَّد معالم الديانة التي جاء بها مصطلحًا ومفهومًا وممارسةً بشِقَّيْهَا؛ العقدي والفقهي، فهذه العقيدة في مبناها ومعناها كانت صادرة عن ربِّ الأرباب، حتى دخلها التحريف والتبديل على مراحل عدَّة، فأخذت تنمو وتتطور وتأخذ كل يوم شكلًا آخر حتى أصبحت في حالٍ من التشبُّع بالعقائد الوثنية، والفذلكة الفلسفية التي غطَّت شكل الديانة النصرانية الصحيحة.

إن هذا التطور والدَّخَل الذي انتهت إليه الديانة النصرانية، ووقفت عنده مرَّت بمراحل متعدِّدة كان من أبرزها ما أحدثه بولس اليهودي من تحوُّل وتطوُّر وتبدُّل وقضايا أخرى استوقفت كثيرًا من الكُتَّاب والباحثين، ودعتهم إلى نسبة عقيدة النصارى إلى بولس لا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام، فقال بعضهم[٢١]: "ولو جاز انتساب الكنيسة لأحد الرسل، لانتسبت لبولس؛ لأنها تأسَّست على يده بنوعٍ خاصّ"[٢٢].

ويقول هربرت ويلز[٢٣]: "وظهر للوقت معلِّمٌ آخر عظيم يعدُّه كثيرٌ من الثقات العصريين المؤسِّس الحقيقي للمسيحية وهو شاول الطرسوسي أو بولس"[٢٤].

ويقول مايكل هارت[٢٥]: "إنه بولس الرسول... وهو أكبر المبشِّرين بالمسيحية، وكان

---

(٢١) بنيامين بنكرتن، يقال له خادم الرب، وله شروح على الأناجيل الأربعة.

(٢٢) تفسير إنجيل متى، إرسالية الإثني عشر (إصحاح ١٠:١-إصحاح ١١:١؛ مرقس ١٣:٣-١٩؛ ٦:٧-١٣؛ لوقا ٦:١٢-١٦؛ ٩:١-٦).

(٢٣) هربرت جورج ويلز: أديب ومفكر إنجليزي، يعدُّ الأب الروحي لأدب الخيال العلمي، توفي سنة: ألف وتسعمائة وست وأربعين، انظر: رؤى تأصيلية في طريق الحرية، صالح عبد الرحمن الحصين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، (ص: ٨٦).

(٢٤) معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة: الثالثة، ١٩٦٣م، (٣/٢٦).

(٢٥) مايكل هارت، أمريكي الجنسية، ولد في سنة: ألف وتسعمائة واثنتين وثلاثين، وألَّف كتابًا ذاع صيته،

The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أثره في الديانة المسيحية هائلًا... وبولس الرسول هذا هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى، وهو المسؤول عن تأليه المسيح، بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذي أقام المسيحية وليس المسيح"[٢٦].

ويقول الفيلسوف الروسي تولستوي[٢٧]: "إن بولس لم يفهم تعاليم السيد المسيح ولم يَرَهُ قَطُّ في حياته، ومن ثَمَّ فلم يكن من حوارِيِّيه؛ وبالتالي لم يتلقَّ تعاليمه منه مباشرةً؛ الأمر الذي جعله يطمس هذه التعاليم بتفسيراته التعسُّفية. إن الأقوال الواردة في كتب العهد القديم، لا تدل على أن يسوع هو الله ولا ابن الله"[٢٨].

ويقول تشارلز دود[٢٩]: "إن الرسائل البولسية كثيرًا ما تُعارِض الأناجيل "[٣٠]، ويقول بعضُ مؤلِّفيهم: "يُعتبر الرسول بولس أهمَّ شخصية ظهرت في تاريخ المسيحية بعد المسيح نفسه، ولقد وضح -في خدمته الواسعة المتصلة وغيرته المتَّقدة للعمل الذي يقوم به وكتاباته الكثيرة- أنه الرجل الذي استطاع أن يفهم عمل سيِّده ويفسِّره أكثر من أيِّ رجلٍ آخر، وكاتب سِفْر الأعمال"[٣١].

إن الناظر إلى هذه النُّقول يجد أنها أوجزت واختصرت ما فعله بولس في عقيدة النصارى بأدقِّ العبارات لفظًا، وأكثرها في المعاني حظًّا، ولم يكن هذا الرأي عن بولس محصورًا ولا مقصورًا في هذه العبارات، بل إن المتأمل في ثنايا الكتب

وقد وضع النبيَّ ﷺ على رأس هؤلاء المئة، انظر: https://2u.pw/vQRBXUk

(٢٦) الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، (٢٣-٢٤).

(٢٧) الكونت ليف نيكولايافيتش تولستوي، ولد سنة: ألف وثمانمائة وثمان وعشرين، وتوفي سنة: ألف وتسعمائة وعشر، اشتهر بكتاباته الإصلاحية والدعوة للسلام، انظر: https://2u.pw/PV9aBVB

(٢٨) ماذا تعرف عن المسيحية، عبد الفتاح حسين الزيات، مركز الراية للنشر والإعلام، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٣م، (ص:٥٦).

(٢٩) تشارلز هارولد دود، بروتستانتي بريطاني مشهور، ألَّف المؤلفات العديدة، وشرح الأناجيل، ولد في ويلز سنة: ألف وثمانمائة وأربع وثمانين، وتوفي سنة ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين وقد شاخ ، انظر:

C. H. Dodd, interpreter of the New Testament, by F. W Dillistone, Eerdmans, 1977.

(٣٠) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، (ص: ٩٢).

(٣١) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، دار الثقافة المسيحية-دار الجيل للطباعة، القاهرة، (ص:٣٤٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يجد أن بولس كانت له اليدُ الطُّولى والعنايةُ التَّامَّة في تحويل عقيدة النصارى من دينٍ سماويّ إلى اعتقادٍ وثنيّ.

ويلحظ القارئ ذلك الحَظَّ منه، وتوجيه الشتائم إليه من صدورٍ حانقةٍ لما فعله بعقيدة النصارى(٣٢)؛ إذ لم يقتصر على التبديل فقط، بل أدخل إلى النصرانية قضايا عدَّة تربو على ما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، وقام بطمس ديانة المسيح عيسى، والمجيء بنظريَّاته التي حلَّت مكان الديانة النصرانية الحقيقية؛ لهذا كان لزامًا أن نُفرد مطلبًا للحديث عنه؛ وذلك لعظيمِ خطره، وكبيرِ ضرره، وسيِّئِ أثره، وهدمِ تعاليم المسيح وشريعته وجعلِها نسيًا منسيًّا، وسنتعرَّف على ذلك كله في هذا المطلب من خلال مسائل عدَّة:

❍ المسألة الأولى: علاقة بولس بالنصرانية ودوره في تحريفها:

المتأمل في حياة هذا الرجل يجد أنه كان من ألدِّ الأعداء وأشدِّهم فتكًا بأتباع المسيح يقتلهم ويسجنهم ويطاردهم من مكان إلى آخر(٣٣) كما سبق في قوله عن نفسه: "سمعتُم بسيرتي قبلًا في الديانة اليهودية أنِّي كنتُ أضطهدُ كنيسة الله بإفراطٍ وأُتلفها"(٣٤)، واختراعه قِصَّةً ليأمنه النصارى؛ لكونه ليس من تلاميذ المسيح، ولا من حوارِيِّيه، بل لم يَرَهُ قَطُّ، مع أن التناقض في هذه القصة وغيرها يبدو جليًّا واضحًا لأول وهلة وعند أدنى نظرٍ أو تأمُّل، ويشهد لهذا قولُهُ في القصة: "وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَنْظُرُونَ أَحَدًا"(٣٥).

فالرجال المسافرون معه سمعوا صوت المسيح عليه الصلاة والسلام، ولكنهم صمتوا ولم ينبسوا ببنتِ شَفَةٍ لكونهم يسمعون صوتًا ولا يرون أحدًا، وهذا الكلام مناقض لما قاله في موطنٍ آخر: "وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ، وَارْتَعَبُوا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي"(٣٦)، فنفى النظر في الرواية السابقة وأثبته في هذه، وهناك أثبت السَّمَّاع ونفاه هنا، فكيف الجمعُ بين هذا وذاك؟! ومما ينبغي التنبيه عليه ولفت النظر إليه أن هناك من يفسِّر تحوُّله بتفسيرات عدَّة لا علاقة لها بالكلام الذي ذكره بولس

---

(32) The Apostle Paul, Translated Into Their Modern Equivalents, James Freeman Clarke, Boston James r. Osgood and Company,1884 ,(P : 4).

(33) The Letters of Paul the Apostle, Henry Coates, United Free Church of Scotland,1923,(P:21); Cradle of the Christ.primitive Christianity, op. cit,(P : 84).

(٣٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (١: ١٣).

(٣٥) أعمال الرسل (٧/٩).

(٣٦) أعمال الرسل (٩/٢٢).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

مــع تناقضه الذي بَيَّنَّاه آنفًا، ومـــن ذلك ما قاله وِل ديورَانت[٣٧]:
"ولعلَّ ما قاساه من التعب في سفره الشَّاقِّ الطويل في شمس الصحراء اللَّفِحَة، أو لعلَّ ومضةَ برقٍ في السماء ناشئة من شدة الحرارة، لعلَّ شيئًا من هذا أو ذاك كله قد أثَّر في جسمٍ ضعيف، رُبَّما كان مصابًا بالصَّرَع، وفي عقلٍ يعذِّبه الشَّكُّ والإجرام"[٣٨]، فالقضيةُ عند وِلْ ديورَانت تتعلَّق بمرضٍ عقليّ أو جسديّ أوصله إلى هذا القول، وهذا ما أثبته بعضُ الأطباء الأمريكيين [٣٩].
ولم يقتصر مرضه على قضية سماعه ورؤية المسيح، بل كانت أفكاره في دعوته منوطة بمرضه، فيقول:

" That Paul was sometimes stricken down suddenly with sickness is evidenced by allusions to it in his epistles and in the Acts of the Apostles، as، for ex- ample، in the fourth chapter of Galatians،
thirteenth verse، and in Second Corinthians، eleventh chapter and fourth verse"[40].

وهكذا يجري الحديث عنه على سَنَنٍ من الاعتراف وقلَّة الاختلاف في تناقضه وتأثير المرض العقلي والجسمي في غالب ما صدر عنه، ومن أجلِ هذا لم يكن مَن بقي من تلاميذ المسيح يثقون به، إذ كيف تحوَّل في عشيَّةٍ وضُحَاها من خصمٍ ألدَّ إلى حليفٍ ناصرٍ يسعى لنشر المسيحية، ومن ذلك ما جاء في أعمال الرسل: "وَلَمَّا جَاءَ شَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِٱلتَّلَامِيذِ، وَكَانَ ٱلْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ. فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا[٤١] وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ

---

(٣٧) ويليام جيمس ديورانت، فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته كتاب «قصة الحضارة» والذي شاركته زوجته اليهودية أريبل ديورانت في تأليفه، ولد سنة: ألف وثمانمائة وخمس وثمانين، وتوفي سنة: ألف وتسعمائة وإحدى وثمانين، انظر: المؤرخ ويل ديورانت (١٨٨٥-١٩٨١م) وآراء له عن أهمية القرآن الكريم في كتاب " قصة الحضارة " -عرض ونقد-، الشريف، مجلة كلية الشريعة، جامعة الزرقاء، ٢٠٢٣م، (ص:٢٣٣).

(٣٨) قصة الحضارة، ول وأريبل ديورانت، مرجع سابق، (١١/ ٢٥٣).

(39) Was the Apostle Paul an Epil Eptic?, by Matthew Woods, the Cosmopolitan Press, New York , 1913 ,(P :27).

(40) Was the Apostle Paul an Epil Eptic? op. cit , (P :27).

(٤١) أحد الحواريين الاثني عشر، وأحد التلاميذ السبعين الذين لزموا عيسى وصاحبوه وآثروه على كل شيء، وكان اسمه يوسف، وقد لقَّبه الرسل ببرنابا لرقَّة طبعه، قُتل سنة:

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ. فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ"(٤٢).

فهذا النص صريحٌ في أن برنابا هو الذي سعى لبولس عند تلاميذ المسيح ﵇، وبذل ما بوسعه لإقناعهم في قضية تحوُّله من البغضِ لدعوة المسيح وأنصاره إلى حبِّ ذلك كله، ولكنهم كانوا يتوجَّسون منه خوفًا، فما سلف منه في ماضي عمره من الحقد لدعوة المسيح لا يؤهِّله إلى هذا الادِّعاء المفاجئ.

ولكنه لم يَرَ في ذلك مطلبًا يحتاج منه إلى بذل ما بوسعه لنيله؛ لكونه غير مفتقرٍ إلى رضاهم أو موافقتهم، فهو لا يفتأ عن الاعتراف بأنه لم يلتقِ بالمسيح، وفي الوقت ذاته يرى نفسه خيرًا من تلاميذه في تصوُّره من خلال أقواله، ولهذا لم يأخذ عن تلاميذ المسيح، ولم يتلقَّ عقيدته النصرانية من مصدرها الأصلي، ومع تجرُّده من هذا وذاك رأى أنه المخوَّل بنشر دعوة المسيح ﵇؛ لتجربته ومعرفته، وهذا ما يشير إليه في رسالة غلاطية(٤٣) حيث يقول: "أُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ؛ لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ... أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ(٤٤)، إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ

ثلاث وستين للميلاد، وقيل: قبل ذلك، انظر: الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، مار إغناطيوس أفرام، مطبعة السلام، حمص، ١٩٤٠م، (٧٧/١)؛ عقائد أهل الكتاب – دراسة في نصوص العهدين-، أحمد مختار رمزي، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م، (ص:٨١)؛ إنجيل برنابا هل هو إنجيل صحيح، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، (ص:٤٦).

(٤٢) أعمال الرسل(٩/٢٦-٢٨).

(٤٣) غلاطية: ولاية في وسط آسيا الصغرى، أي: تركيا حاليًا، وتشمل بلادًا كثيرة، وتمتد هذه الولاية ٢٠٠ ميلًا طولًا وحوالى ١٥٠ ميلًا عرضًا، وسُمِّيت غلاطية نسبةً إلى غالية, أي: فرنسا التي هاجر أهلها إلى هذا المكان واشتركوا في حروب كثيرة، وتميزوا بالعنف والقوة والتقلب واختلطوا في أيام بولس بأهل فريجية واليونان، وسكانها معظمهم أمميون ومعهم قليل من اليهود، انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين، مرجع سابق، (ص:٦٦٠)؛ تفسير رسالة بولس الرسول إلى غلاطية، كهنة و خدام كنيسة مارمرقس مصر الجديدة، مشروع الكنوز القبطية، (ص:٢٢٩).

(٤٤) أورشليم هي القدس في قول بعضهم، فكانت تسمَّى بأور سالم، ولمَّا دخلها العبرانيون في القرن العاشر قبل الميلاد، فأبدلوا السين بالشين لاستثقال هذا الحرف عليهم، ثم تطور هذا اللفظ حتى صار أورشليم، ومنهم من نفى أن تكون القدس هي أورشليم التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس، انظر: القدس في الكتب السماوية الثلاثة، جاسر علي العناني، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، العدد: ٦٨، (ص: ٢٠٧)؛ القدس ليست

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أيضًا إِلَى دِمَشْقَ[٤٥].

ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَلكِنَّنِي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ[٤٦]"[٤٧].

ويؤكد هذا في قوله: "وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَسًا لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا، الَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ. وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ - مَهْمَا كَانُوا، لاَ فَرْقَ عِنْدِي، اللهُ لاَ يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ - فَإِنَّ هؤُلاَءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ[٤٨] عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ"[٤٩].

والتفَّ حوله تلاميذ عدَّة ينظرون في دعوته، ولكنهم نفروا منه لمَّا رأوا حقيقة دعوته من إساءة الأدب مع الله ﷻ كما يصرّح بذلك في مواطن كثيرة كقوله:

١- "لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ"[٥٠].

٢- "لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ" [٥١].

فهل الإساءة إلى الله ﷻ تصدر من الأنبياء؟!

أورشليم: مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين، الربيعي.

(٤٥) بكسر أوله، وفتح ثانيه، هكذا رواه الجمهور، والكسر لغة فيه، وشين معجمة، وآخره قاف: البلدة المشهورة قصبة الشام، سُمِّيت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي: أسرعوا، وناقة دمشق، بفتح الدال وسكون الميم: سريعة، وناقة دمشقة اللحم: خفيفة، وقيل: سُمِّيت بدماشق بن نمرود بن كنعان، وكان معه إبراهيم، ، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٢/ ٤٦٣- ٤٦٤).

(٤٦) سيأتي تعريفه في الحديث عن الاضطهاد.

(٤٧) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (١/١١-١٩).

(٤٨) اسم يوناني معناه: صخرة أو حجر، كان يسمَّى أولا سمعان، فلمَّا تبع يسوع سُمِّي: كيفا، وهي كلمة أرامية معناها صخرة، يقابلها في العربية صفا أي: صخرة، وقد سمَّاه المسيح بهذا الاسم. والصخرة باليونانية بيتروس, ومنها: بطرس، دعا يسوع بطرس ثلاث مرات فأولًا: دعاه ليكون تلميذًا، ودعاه ثانية: لكي يكون رفيقًا له ملازمًا إيَّاه باستمرار، ثم دعاه ثالثةً: لكي يكون رسولًا له، انظر: سحابة من الشهود - صياد الجليل بطرس الرسول، القمص أشعياء ميخائيل، دار يوسف كمال للطباعة، الرسل الأطهار الاثني عشر – تلاميذ السيد الرب –، القمص أثناسيوس فهمي جورج، دير القديس أثناسيوس الرسولي، ط١، ٢٠٠٥م.

(٤٩) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٢/٤-٧).

(٥٠) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١/٢٥).

(٥١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٢/١٠).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ولم يكن محمود السيرة أو السريرة، ولكن انبرى لوقا من تلاميذه يذود عنه ويبذل ما بوسعه لردِّ أيِّ شيء يوجَّه إليه من اعتراض أو انتقاد؛ فحاز مكانة عظيمة في قلب بولس فلم يفتأ من تسمية لوقا بعد ذلك بـ:"الطبيب الحبيب "[٥٢]، فكتب لوقا "أعمال الرسل" التي لخَّص فيها حياة بولس كما فعل مَتَّى ومرقس مع المسيح، وكتب إنجيل لوقا الذي لخَّص فيه أفكار أستاذه، وهذا ما أكَّده غير واحد منهم[٥٣].

ومع هذا فإنَّ النصارى يتَّكؤون على شخصيتين في أصول دينهم كما يقولون: عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب الديانة ومؤسِّسها، وبولس مفسِّر الديانة، وهذا الاتكاء يجعل المرء يقف مستغربًا لا ينقضي عجبه، إذ أقربُ الناسِ إلى عيسى عليه الصلاة والسلام مثل: بطرس، ويوحنا، ويعقوب لم ينقل النصارى عنهم شيئًا في تفسير رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام[٥٤] مع أنهم يمتلكون أدوات التفسير، ويعرفون حقيقة دعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام، فكيف أعرضوا عن ذلك، وتركوا الأمر برمَّته لشخصٍ آخر؟

إن هذا الغياب يدل على أنهم تصدَّوا للتفسير، ولكن طالته يدُ التغييب والإخفاء، أو أنَّ العقيدة النصرانية واضحة بيِّنة لا تفتقر إلى التفسير، فمن أين جاء كلُّ ذلك التناقضِ والتضادِّ إليها بحيث يَصعُب التوفيق بين النصوص في غالب المسائل؟

إذا تقرَّر ذلك فإنَّ التطور هو الباعث على ذلك التناقض -وهذا ما سيظهر في هذه الرسالة-.

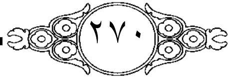
❍ المسألة الثانية: أهم التغييرات العقدية التي أحدثها في العقيدة النصرانية:

أحدث هذا الرجل تغييرات عديدة في ديانة عيسى عليه الصلاة والسلام أدَّت إلى طمس ديانة عيسى، بل قال بعض المؤلفين عن بولس: "أسَّس باسم يسوع دينًا لا يفقهه يسوعُ لو كان حيًّا"[٥٥]، ومن أهم تلك التغييرات:

أولًا: القول بعالميَّة ديانة عيسى عليه الصلاة والسلام: الناظر إلى ديانة عيسى يجد أنها ليست عالميَّة، بل هو مرسَل إلى اليهود المنحرفين عن ديانة موسى لردِّهم إلى الصواب، وهدايتهم من الضلالة التي وقعوا فيها إلى الصراط المستقيم، ويشهد لهذا قولُ المسيح في إنجيل مَتَّى: "لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ"[٥٦]،

---

(٥٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي (٤/ ١٤).
(٥٣) انظر: يسوع المسيح – شخصيته - تعاليمه، بولس إلياس يسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٦٣م، (ص:٢٦)
(٥٤) بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، (ص:١٣).
(٥٥) حياة الحقائق، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعتير، مؤسسة هنداوي، (ص:٥٢).
(٥٦) إنجيل متى (١٥/ ٢٤).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ويصرّح بأنه جاء مكمِّلًا ومتمِّمًا ومفسِّرًا لدين موسى عليه الصلاة والسلام، فيقول: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ"[٥٧]. ويَنهى تلاميذَهُ عن تبليغ رسالته إلى غير مَن أُرسِل إليهم فيقول: "إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ" [٥٨].
وقد أيَّد هذا القرآنُ الكريم، فقال تعالى -في حكايته عن عيسى عليه الصلاة والسلام-: وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ...[آل عمران: ٤٩]، وقال تعالى: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف: ٦]، ولم يجعل الله ﷻ لرسالةٍ قطُّ تشمل جميع الأمم وتعمُّهم بالدعوة سوى رسالة نبينا ﷺ، فقال تعالى: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا [الفرقان: ١].
لكن بولس زعم أن ديانة عيسى عالميَّة[٥٩]، وليست محصورة في أمَّة من الأمم، ويدل على هذا قوله: "فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا الأُمَمُ: بِمَا أَنِّي أَنَا رَسُولٌ لِلأُمَمِ أُمَجِّدُ خِدْمَتِي"[٦٠]، ويقول: "وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ"[٦١]، وقوله: "أُعْطِيَتْ هَذِهِ النِّعْمَةَ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ"[٦٢].
وقد رام بهذا التحريف كسب العديد من الأنصار، والترويج لديانته عند أتباع المِلَل[٦٣] الموافِقة لفكرته التي لن تجد حرجًا في قبول ما جاء به من دينٍ موافقٍ لما هم عليه كما جاء في كتاب "محاضرات عن تأثيرات بولس على المسيحية" ما نصُّه:
"that the t Messianic impulse would have spent itself inef-

---

(٥٧) إنجيل متى(١٧/٥).
(٥٨) إنجيل متى(١٠/٥-٧).
(59) Lectures on the Influence of the Apostle PAUL on the Development of Christianity, op. cit, (P : 10).
(٦٠) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية(١٣/١١).
(٦١) الرسالة إلى أهل غلاطية(١/١٥).
(٦٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس (٣/٨).
(63) History and thought of the Early church. Henry Chadwick, London, 1982,(P : 9).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

fectually in a few years، had not a fresh impulse been given by a new conception of the Messiah. The Christ outlined in the earliest literature of the New Testament would hardly have founded a permanent church، or given his name to a distinct religion. A new conception came، in due time، from an unexpected Greek ; Jew by parentage، nurture، training and genius"[(64)].

إضـافةً إلـى ذلـك فـإنَّ القـول بعالميَّـة رسـالة عيسـى عليـه الصـلاة والسـلام تـتلاءم وتتوافـق مـع فكرتـه التـي تـنصُّ علـى أن عيسـى عليـه الصـلاة والسـلام فَـدَى البشـرية وخلَّصها من خطيئتها الأصلية -وسنبيِّن ذلك في موضعه-.

ثانيًا: القول ببنوَّة عيسى عليه الصلاة والسلام لله ﷻ: أطلق القول بأن عيسى هو ابن الله كما في سفر "أعمال الرسل": "أما شاؤول فكان لم يزل ينفث تهدُّدًا وقتلًا على تلاميذ الرَّبِّ، فتقدَّم إلى رئيس الكهنة، ... وكان شاؤول مع التلاميذ الذين في دمشق أيامًا وللوقت جعل يكرِّز في المجامع بالمسيح أنَّ هذا هو ابن الله"[(٦٥)]، وقال في رسالته إلى غلاطية: "وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ"[(٦٦)].

وهذا القول ينافي الشواهد الكثيرة التي سبق ذكرها من قبل في إثبات بشرية عيسى من الأناجيل كما في إنجيل يوحنا قال لهم: "وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ"[(٦٧)].

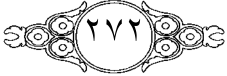
وفي القرآن تأييد القول ببشرية عيسى عليه الصلاة والسلام، والإنكار على القائلين بالوالدية والولدية، كقوله تعالى وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ [التوبة: ٣٠]، وقال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ [مريم: ٨٨-٩٤] وقال: وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿4﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ

([64])Cradle of the Christ.Primitive Christianity, op. cit,(P : 83).

(٦٥) أعمال الرسل (٩/١-٢٠).

(٦٦) الرسالة إلى أهل غلاطية(٤/٤).

(٦٧) إنجيل يوحنا(٨/٤٠).



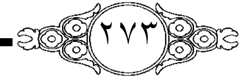
ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا [الكهف: ٤-٥].
ولكن بولس أخذ هذا القول من ديانته السابقة التي كان عليها فأطلقه على عيسى عليه الصلاة والسلام[٦٨]، وكان هذا الاصطلاح يدور على ألسنة اليهود كما قال تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ [المائدة: ١٨]، وفي سفر هوشع: "يكون عدد بني إسرائيل كرمل البحر الذي لا يُكال ولا يُعَدُّ، ويكون عِوَضًا عن أن يقال لهم: لستم شعبي، يقال لهم: أبناء الله الحيّ"[٦٩]، وجاء في "سفر الخروج": "فتقول لفرعون: هكذا يقول الرَّبُّ: إسرائيلُ ابني البكر. فقلتُ لك: أَطْلِقِ ابني ليعبدني، فأَبَيْتَ"[٧٠].
أما أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام فلم يكن هذا القول موجودًا عندهم،" ولا شيء يدل على أن الناس عَدُّوا يسوع إلهًا في القرن الأول من النصرانية، ولم ينتشر الإيمان بألوهيَّته إلا في أوائل القرن الثاني بين الجماعات النصرانية"[٧١].
ثالثًا: ابتداع قضية الخلاص: الناظر إلى هذه الفكرة يجد أنها من أكثر القضايا تعقيدًا، وذلك أن الذنب لا يحمل وزره سوى فاعله، بينما بولس رأى أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة قد جعل البشرية جمعاء تحمل وزر ذلك الأكل، ولا يتخلَّص البشر منها إلا بدمٍ إلهيّ، فزعم أن الله ﷻ أرسل ابنه -في زعمه- ليستسلم لليهود فيصلبوه ويقتلوه، فجاء في إنجيل يوحنا: "فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُرْسِلِ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ الْعَالَمُ بِهِ"[٧٢]، وفي إنجيل لوقا: "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ"[٧٣]، وفي إنجيل مرقس: "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أيضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ

---

(68)See: The Theology of Paul the Apostle, James D. G. Dunn, William b. Eerdmans Publishing Company Grand Rapids, Michigan / Cambridge, U.K, 1998,(P : 204 , 224); The Creed: What Christians Believe and Why it Matters, de Luke Timothy Johnson, New York, 2003, (P : 120) ; The Closing of the Western Mind: The Rise of Faith and the Fall of Reason, de Charles Freeman, Knopf, New York, 2003,(P:168).

(٦٩) سفر هوشع (١/ ١٠).
(٧٠) سفر الخروج (٤/ ٢٢).
(٧١) حياة الحقائق، مرجع سابق، (ص:٥٢).
(٧٢) إنجيل يوحنا (١٧/٣).
(٧٣) إنجيل لوقا (٥٦/٩).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ"(٧٤).

وفي إنجيل يوحنا: "وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الحيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الحيَاةُ الأَبَدِيَّةُ"(٧٥).

وقال بولس: "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ. بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ. مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ"(٧٦)، وقال أيضًا: "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ، الشَّهَادَةُ فِي أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ"(٧٧).

فالخلاص من خلال هذه النصوص يقتضي تناول الناس كلهم برفع الإثم عنهم، ولكن نجدهم في موضع آخر يقولون بأن الخلاص إنما كان لشعبه فقط، ففي إنجيل مَتَّى ما نصُّه: "اسْمَهُ يَسُوعَ؛ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ"(٧٨)، فكيف تحمَّل شعبه خطيئة آدم من بين سائر الناس ليكون التكفير خاصًّا بهم دون غيرهم، وهو يناقض قولهم بأن البشرية تحمَّلت خطيئة أبويهم لوحدة الجنس البشري، فالبشر أتوا من أب واحد وأم واحدة، ويشهد لهذا قولُ بولس: " كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ"(٧٩)، ويؤكد هذا الكلام أحدُهم فيقول: " فالخطيئة قد ملكت على العالم نتيجةً لخطيئة آدم؛ لأن البشرية كانت واحدة فيه، هذه الوحدة بين البشرية في آدم عنصرٌ مهمٌّ جدًّا في مفهوم الرسول بولس، فهو يؤكد أن الجميع سواء"(٨٠).

وهذا الكلام مرفوض عقلًا ونقلًا، فالناس وإن كان أصلهم واحدًا فإنهم يتفاوتون في الإيمان والكفر، والصلاح والفساد، والخير والشر، ولو كان الأصل يقتضي الاشتراك والاتفاق في الذرية؛ لاشتركَ الجميعُ في الخير أو الشر.

ومع ذلك فإن بولس رأى في عيسى عليه السلام تخليص البشرية من ذنبِ أبيهم(٨١)، فلمَّا

---

(٧٤) إنجيل مرقس (١٠/ ٤٤ - ٤٥).
(٧٥) إنجيل يوحنا(٣/٦).
(٧٦) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية(٣/٢١-٢٥).
(٧٧) رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس(٢/٦).
(٧٨) إنجيل متى (١/ ٢١).
(٧٩) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية(٥/١٢).
(٨٠) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، مرجع سابق، (ص:٣٨٧).
(81) See: Theology of the New Testament, Rudolf Bultmann, London: Scm/New York: Scribner, 1952,(P:88-92), The Epistle to the

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

تناهى إلى فكره أن ذلك سيأتي عليه باعتراض في بقية أعمال الناس، فما قيمة الفعل إذا كان سيخلّصهم من ذنب أبيهم ولا يخلّصهم من الخطيئة المتأصّلة في البشرية[٨٢]، فأتى بإتمام لهذه الفكرة في تصوُّره، فقال: "يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا"[٨٣]، وفي رسالة يوحنا: "أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، لأَنَّهُ قَدْ غُفِرَتْ لَكُمُ الْخَطَايَا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ"[٨٤]، وقال بولس: "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا"[٨٥].

إنَّ المتأمل لهذا الكلام يجد أنَّ تصديقه والإيمان به متعــذِّر أو متعسِّر، وذلك لتناقضه فيما بينه، ومنافاته للنصوص الأخرى التي تدل على عكس هذا كله، ففي إنجيل مَتَّى قول يسوع: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ"[٨٦]، وفي رؤيا يوحنا: "وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ؛ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ، وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ "[٨٧].

فها هو يصرِّح بأنه لم يأتِ إلى البشرية ليخلِّصها ويشفق عليها ويرحمها ويتحمَّل من أجلها الذل والهوان وتعريض نفسه للصَّلْب، بل ما جاء إلا ليُعمل فيها الذبح، ويسفك الدماء، ويسعى لبثِّ روح الكراهية والقطيعة بين الأب وابنه والأخ وأخيه، ويمزِّق جميع أواصر المجتمعات، فهاتان صفتان في المسيح تتناقضان ولا تلتقيان بأيِّ حال من الأحوال، ولا تثبت إحداهما إلا على حساب ارتفاع الأخرى.

إثباتُ ضدَّيْنِ معًا في حال … أقبحُ ما يَأتي من المحال[٨٨]

Romans ,Black's New Testament Commentary, de C. K. Barrett, Bntc/Hntc; London: Black/New York Harper and Row, 1975, 1991,(P : 87 - 91) , Why I Love the APostle Paul, John piper, Library of Congress,1946, (P: 117-120).

(٨٢) إيماني - قضايا المسيحية الكبرى، القس إلياس مقار، دار الثقافة، الطبعة: الأولى، (ص:٢٦٠).

(٨٣) سفر أعمال الرسل (٤٣/١٠)

(٨٤) رسالة يوحنا الأولى (١٢/٢)

(٨٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي(١٣/٢).

(٨٦) إنجيل متى (١٠/ ٣٤-٣٦).

(٨٧) رؤيا يوحنا (١٥/١٩).

(٨٨) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، المحقق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، (٢/ ٩١٩).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وليس هذا الأمر فقط، بل لم يأتِ قَطُّ في كلام المخلِّص نفسه أنه كذلك، فكيف يُنسب إليه شيءٌ لم يَدُرْ بخلده ولا نطق به لسانه، وهل يكون ذلك إلا افتراءً عليه، يقول هربرت ويلز: "يعسر عليك أن تجد كلمةً تُنسب فعلًا إلى يسوع فسَّر فيها مبادئ الكفَّارة والفداء"(٨٩).

ولم يقتصر خلوُّ نصٍّ عن المسيح يُثبت ذلك عن نفسه، بل وتلاميذه رفضوا هذه الفكرة وأبدوا معارضتها وأجلبوا عليها بخيلهم ورَجْلِهم إنكارًا وتجاهلًا، ولا يزال صدى هذا الاختلاف جاريًا في أوساط النصارى إلى هذه اللحظة(٩٠).

فإذا لم يصرِّح بها المسيح ولا تلاميذه، فلا شك أنها أجنبية عن عقيدة النصارى، ولا تمتُّ إليها بأيِّ صلة، ولو كانت من صُلْب عقيدة النصارى لدلَّ عليها دليلٌ قطعيّ أو ظنيّ، ولا سِيَّما أنها تتعلق بقضايا عدَّة: كالصليب، والأقانيم الثلاثة: الأب والابن، وروح القدس، وأن الثلاثة واحد، وغير ذلك مما يذكرونه من القضايا العقدية التي تتفرَّع عن عقيدة الخلاص وتنبثق منها.

رابعًا: إلغاء شريعة موسى عليه الصلاة والسلام: لم يكتفِ بولس بادعاء شمول وعموم وعالمية دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام، فيقول: " إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا"(٩١).

وهذا ينافي ويناقض قول المسيح في إنجيل مَتَّى: " لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ"(٩٢)، فالمسيح عليه الصلاة والسلام كان يتعبَّد بشريعة موسى في سائر عباداته(٩٣)، وحين سئل المسيح عن العمل الذي يُدخل الجنة فأجاب سائله عن الالتزام بشريعة موسى، يروي ذلك مَتَّى فيقول: "وَإِذَا شَابٌّ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلَاحٍ أَعْمَلُ لأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ؟ فَأَجَابَهُ: لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ؟ وَاحِدٌ هُوَ الصَّالِحُ. وَلكِنْ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاعْمَلْ بِالْوَصَايَا. فَسَأَلَ: أَيَّةِ وَصَايَا؟ أَجَابَهُ يَسُوعُ: لَا تَقْتُلْ؛ لَا تَزْنِ؛ لَا تَسْرِقْ؛ لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ؛ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ... قَالَ لَهُ الشَّابُّ: هَذِهِ كُلُّهَا عَمِلْتُ بِهَا مُنْذُ صِغَرِي، فَمَاذَا يَنْقُصُنِي بَعْدُ؟ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا، فَاذْهَبْ وَبِعْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ، وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ.

---

(٨٩) معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، مرجع سابق، (١٧/٣).
(٩٠) المسيح في مصادر العقائد المسيحية -خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب-، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م، (ص: ٢٧١).
(٩١) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية(٢/١٦).
(٩٢) إنجيل متى (١٧/٥).
(٩٣) سيرة المسيح، جورج فورد، كنيسة قصر الدوبارة، القاهرة، (ص:١٦).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وَتَعَالَ اتْبَعْنِي"[٩٤].

ويلحظ الدارس لتاريخ كنيسة القدس بأن أتباع المسيح لم يؤسِّسوا بعد غيابه مركزًا دينيًّا مُناظرًا للمعبد اليهودي في القدس، بل ظلّوا يتردَّدون على المعبد، ويحترمون التوراة، وينسجمون معهم في قالب اليهودية، ولا يتميزون إلا ببعض الأفكار، أو التسمية بالحواريين، وأما ما يتعلق ببقية مظاهر الديانة اليهودية فهم منهم، يستمدُّون أفكارهم من مصادر الديانة اليهودية بغير حرج أو تميُّز، وهذا يعني أنهم جزء من اليهود أو فرقة يهودية تختلف عن بقية الفرق في اعتقاد كون المسيح هو المنتظر لا أقلّ ولا أكثر.

ولكن النصارى تركوا أقوال نبيِّهم هذه وراءهم ظِهْرِيًّا، وتمسَّكوا بقول بولس[٩٥]، ويفسرون ذلك بأن: " بولس كان يَعتبر أن طريقة النعمة وطريق الناموس متعارضان تمامًا، والخطأ الأساسي الذي يقع فيه من يختار طريق طاعة الناموس، هو أن يظنَّ أن ما يفعله سيُكسبه الثواب أمام الله، وطريق الناموس يجعل الخلاص يعتمد على المنجزات البشرية. أما من يختار سبيل النعمة فإنه يلقي بنفسه وخطيئته على رحمة محبة الله....، وكان كل ما يهمُّ بولس هو ذلك الإيمان الحاصل عن طريق المحبة. وهذا يعني -بصورة أخرى- أن جوهر الدين ليس هو الناموس، ولكن العلاقة الشخصية مع المسيح يسوع...

فإيمان المسيحي لا يتأسَّس أبدًا على كتاب، ولكن على شخص، والقوة الدافعة فيه ليست طاعة أيِّ ناموس، ولكن الحب للمسيح يسوع"[٩٦]، فيكفي الإنسان معرفة أن عيسى هو المخلِّص، وبعد ذلك يحرِّف الشريعة أو يتركها وينبذها كما يشاء.

إنَّ هذه الأمور التي ابتدعها واخترعها وأتى بها لم يكن لها أثرٌ إيجابيّ في العقيدة النصرانية؛ إذْ شكَّل النشاط الذي قام به هدمًا لديانة المسيح، وفي ضوء ذلك وجد جماعات من الحواريين يخالفونه ويبيِّنون انحرافه عمَّا جاء به عيسى، فانقسمت الكنيسة بعد أن كانت واحدة، وتفرَّقت شذر ومذر، فلم يكن من بولس سوى الشعور بالألم الشديد، حيث رأى الانشقاق يتتابع بين النصارى، وهو سببُ ذلك الانقسام، ويصرِّح بذلك فيقول: "وَلكِنَّنِي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ

---

(٩٤) إنجيل متى (١٦/١٩-٢٢).

(95) Primitive Christianity In Irs Contemporary Selling, Rudolf Bultmann, Fortress Press, Philadelphia, 1956,(P:176) ; Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew, de Bart D. Ehrman, Oxford University Press, New York, 2005 ,(P :98).

(٩٦) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، مرجع سابق، (ص: ٧٣-٧٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

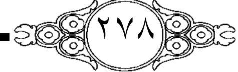
تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلًا وَاحِدًا، وَلَا يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ. لأَنِّي أُخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُوِي أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ"(٩٧).

ولا شك ولا مرية في أن الدين منوطٌ بالنقل، والعقل يقوم بفهم ذلك، أما استقلال العقل بالتشريع فمردودٌ لعدم قدرته على ذلك، ومن هنا وقع بولس فيما وقع فيه لعدم استقائه هذه الأمور مما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، بل كانت من بنات أفكاره وآرائه الشخصية التي لا تمتُّ إلى الشرع بأيِّ صلة، وعندئذٍ فالخطأ هو الأصل إذا كان الحال كذلك، والمخالفة هي النتيجة الحتمية، ويشهد لهذا الأمر في عدم علاقة الله سبحانه بما يقوله في رسائله كقوله: " فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ، وَلكِنَّنِي أُعْطِي رَأْيًا"(٩٨)، ويقول: "لَسْتُ أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ، بَلْ بِاجْتِهَادِ آخَرِينَ"(٩٩)، ويقول: " الَّذِي أَتَكَلَّمُ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ الرَّبِّ، بَلْ كَأَنَّهُ فِي غَبَاوَةٍ، فِي جَسَارَةِ الافْتِخَارِ هذه"(١٠٠).

ويؤكد القول بأن أفكاره غبيَّة تُناقض العقل فيقول: "لَيْتَكُمْ تَحْتَمِلُونَ غَبَاوَتِي قَلِيلًا!"(١٠١)، فكيف يتطور الغباء ليتحوَّل إلى دينٍ يعتقده أناسٌ كثر؟ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [الكهف: ٥٠]، فمَن ضربَ عن الوحي صفحًا، وطوى عنه كشحًا فسيقع في مثل هذا الغباء الذي يتحدث عنه بولس، ويكون حاله كمن فقد مصباحه فيهيم في ظلامٍ بهيم ، جَزَاءً وِفَاقًا [النبأ: ٢٦].

وإنْ تَعْجَبْ فعجبٌ تصديقُ دينٍ يصدر من شخصٍ كهذا، وأن تنهال عليه من الصفات التي تتنافى مع شخصيته كالقول بأنه رسول، مع تقريره بأن ما يقوله صادر عن رأيه الخاص، وبيان أتباع عيسى منافاة ما يدعو إليه لتعاليم المسيح ودينه وعقيدته، بل هي أمور وثنية وفلسفات يونانية دخيلة على عقيدة المسيح أتت على بنيانها من القواعد واستطاعت هدمها من الأساس، ولم يستطع الحواريون وتلاميذهم فِعْلَ أيَّ شيءٍ لهذا التحريف الذي حصل لعقيدتهم التي عرفوها وآمنوا بها، واكتفوا بالنقد الذي لم يَرْقَ إلى ردِّ هذا التحريف، فنجح بولس فيما أراد، ووصل إلى ما قاله في كونه يريد استيعاب كافة الأمم ليكسب الجميع بمختلف أحوالهم(١٠٢).

(٩٧) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس(١/١٠-١١).
(٩٨) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس(٧/٢٥).
(٩٩) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس(٨/٨).
(١٠٠) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس(١١/٧).
(١٠١) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس(١١/١).
(١٠٢) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس(٩/٢٢).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وهذا منهج ساسة لا منهج دعاة، وهذه حقيقة دعوته وخلاصتها بمبناها ومعناها لا تزيد ولا تنقص، اخترعها وابتدعها، وسلك طرقًا شتى لبيان اتفاقها وانبثاقها من الديانة النصرانية، وهذا أمرٌ متقرِّر عند أهل الباطل جميعًا كما قال تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ [الأنعام: ١١٢]، أي: "يزيِّن بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغترَّ به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تُعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموَّهة، فيعتقدون الحقَّ باطلًا والباطلَ حقًّا، ولهذا قال تعالى: وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ [الأنعام: ١١٣] أي: ولتميل إلى ذلك الكلام المزخرف لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة، يحملهم على ذلك، ژ ژ ژ بعد أن يصغوا إليه، فيصغون إليه أولًا فإذا مالوا إليه ورأوا تلك العبارات المستحسنة، رضوه، وزُيِّنَ في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ما هم مقترفون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة، فهذه حالُ المغترِّين بشياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم"[١٠٣].

المطلب الأول: الدعوة إلى العقيدة النصرانية

المتأمل في هذه الفترة يجد أن النصارى أصابهم ركود فكري، ولم يظهر في أوساطهم من يحاول أن يقف أمام الأفكار المتقرِّرة في الكنيسة[١٠٤]، بل غالبهم يسعى إلى تثبيت ما توصَّل إليه الآباء الرسوليون قبلهم، ونبذ أيِّ هرطقة[١٠٥] تبرز على

([١٠٣]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، (ص: ٢٦٩).

([١٠٤]) مجمع خلقيدونية، أيفرق أم يجمع، نحو تقارب في المسيحانية الأرثوذكسية، بولس غريغوريوس -وليم لازاريث -نيكوس نيسيوتيس-، ترجمة: الأب: ميشال نجم، (ص:٤٨).

([١٠٥]) يستخدم النصارى لفظ الهرطقة لقضية الابتداع في ديانتهم أكثر من استعمال لفظ البدعة، والهرطقة في أصلها كلمة إغريقية تدور معانيها حول مجموعة من الأفكار الدينية التي يدين بها السواد الأعظم من الناس في أيِّ مصر أو أيِّ عصر، وقد جاء ذكرها في الإنجيل كثيرًا، وأراد بها الإنجيل معنى البدعة تارة، ومعنى الفرقة تارة أخرى، ويقسمونها إلى قسمين:

- هرطقات روحية أخلاقية: هي التي تضاد تعاليم المسيحية وتخالف التقوى، وتعدُّه الكنيسة انحرافًا عن طريقة القداسة والتطهر.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الناس، ويشهد لهذا قولُ بعض كهَّان[١٠٦] القرن السادس: "شرطُ الخلاص هو الحفاظ على قاعدة الإيمان الصحيح، وتجنُّب أيِّ انحراف عمَّا رسمه الآباء، ولأنه يمكن إهمال قول ربنا يسوع المسيح: أَنْتَ صَخْرٌ. وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي [١٠٧]، فهذا القول قد أثبتته الوقائع. إذ بقيت الديانة الكاثوليكية دائمًا مصونة من أيِّ شائبة لدى الكرسي الرسولي ... ونتتبَّع الآباء في كل شيء رسمـوه، فنحن نُبَسِّـل جميع الهراطقة"[١٠٨].

فهذا الحفظ -في زعمهم- روعي من قِبل أصحاب الكنائس الخلقدونية وغير الخلقدونية، ولا تختص به كنيسة عن الأخرى، ولكنهم طوَّروا في أساليب الدعوة كما هي السمة عندهم[١٠٩]، فمتى أظهروا الحرص على الوقوف أمام الهرطقة التي تطرأ وتبرز فإن النظر لأول وهلة يقود الإنسان إلى اكتشاف حجم التغيرات، ولا أَدَلَّ على هذا الأمر من طريقة تعاملهم مع المدعوِّ، مع المدعوِّ ما أوصاهم به المسيح من التسامح مع المدعوِّ، وحبِّ الخير له، والرفق به، والصبر عليه كما يقول: "أَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى

- هرطقات لاهوتية إيمانية: هي خلاف التسليم الرسولي فيما يتصل بجوهر ذات الله وطبيعته، أو لاهوت الابن وطبيعته ومشيئته، أو لاهوت الروح القدس، وغيرها من مسائل العقيدة المسيحية كأسرار الكنيسة، وشفاعة القديسين، وما يتصل بالطقوس والعبادات، كالصلوات والأصوام والأعياد والصور.، انظر: الهرطقة في الغرب، رمسيس عوض، دار الانتشار، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م، (ص:ص:٧-٨)؛ اللاهوت المقارن، المتنيح الأنبا غريغوريوس، مرجع سابق، (ص:١٢).

(١٠٦) هو البابا هور مسداس.

(١٠٧) إنجيل متى (١٨/١٦).

(١٠٨) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، ترجمة: المطران يوحنا منصور -الأب: حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، (١٢٩/١).

(109) See: Aulus Gellius, Th e Attic Nights of Aulus Gellius, by Gellius ,T: J. C. Rolfe, London and New York: Heineman, Putnam, 1927–1928, (P : 4-19) ; The Lives of the Twelve Caesars, Suetonius, Harvard University Press, 1998, (P : 74) ; Supplements to Vigiliae Christianae the Earliest History of the Christian Gathering Origin, Development and Content of the Christian Gathering in the First to Third Centuries, by Valeriy A. Alikin, Revision of the author's thesis—Leiden University, 2009,(P : 157).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ"(١١٠).
وقال أيضًا: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ لأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ"(١١١).

فهذه الأساليب المتبعة في الدعوة إلى الدين كما تصوّرها غالب نصوص الإنجيل، في حين هناك أساليب أخرى ظهرت في القرن السادس وما بعده، فيلحظ الناظر بدء التطور من الدعوة السلمية إلى استخدام القوة في الدعوة إلى أفكارهم، والتبرير لذلك بقولهم: " نحـــن في الواقع جـــزء صغير مــــــن المسيحيـــــة في العالم، لكننا نزعـــم أن العالم كله مرغم على اتِّباع آرائنا، ونزعم أيضًا أن هذا العالم يرتعد تحت وطأة توجيهاتنا"(١١٢)، ويشهد لهذا الحملات الكثيرة ضد الساكسون(١١٣)، وقتلهم في سبيل دعوتهم إلى اعتناق الديانة النصرانية، والتفنُّن في تعذيبهم عند عدم استجابتهم لذلك(١١٤).

بل كانت تجري ضد المخالفين ذبائح بأكملها، بحيث يُجمع المخالفون في صعيد واحد، ثم يُذبحون كما تُذبح النعاج، ولا أَدَلَّ على هذا من الوحشية التي جرت ضد الساكسون، حيث ذُبح منهم في يوم واحد أربعة آلاف وخمسمائة شخص(١١٥).

وفي اتجاه التغيير والتطور عندهم في هذا الباب ما حصل من إقحام الحكام في الدعوة وقضايا العقيدة، مع أن قول المسيح عليه الصلاة والسلام يقتضي تحييد السلطة عن

(١١٠) إنجيل متى (٥/٤٥-٤٦).
(١١١) إنجيل متى (٧/ ١٢).
(١١٢) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، ترجمة: رضوان السيّد، المدار الإسلامي، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦م، (ص:٢٦).
(١١٣) الساكسون: هم مجتمع من قبائل ألمانيا القدامى، بيد أن معظمهم استوطنوا شمال ألمانيا، ثم حصل الاندماج والتعايش مع قبائل الانجليز ليشكلوا بذلك الأنجلوسكسونيين التي شكلت أول مملكة لحكم إنجلترا، وقد ساهموا في نشر لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم مع من اندمجوا معهم.
See: The Continental Saxons from the Migration Period to the Tenth Century: An Ethnographic Perspective (Studies in Historical Archaeoethnology, 6), by Dennis H. Green-Frank Siegmund (Editor), Perspective, Boydell Press, 2003, (P: 14-15).
(١١٤) انظر: أوربا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٩م، القاهرة، (١/١٧٩).
(١١٥) حملات شارلمان المبكرة، تحليل دبلوماسي وعسكري، برنارد ستانلي باشراش، دار بريل للنشر، ٢٠١٣م، (ص: ٧٦٨-٧٧٦).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الدين حيث قال: "أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ، وَمَا لِلهِ لِلهِ"(١١٦).

ولكنهم أقحموا القياصرة والسلاطين بعد ذلك في شؤون الدين والتدخل في قرار الصواب أو نبذ الخطأ، وطريقة الدعوة وقضايا كثيرة تتعلق بالدعوة، وقد تفطّن لهذا التغيُّر بعضُهم فحاول تحييد السلطة عند الدعوة إلى العقيدة النصرانية لئلَّا يحصل لدى العوامِّ كثيرٌ من الغموض واللبس حول الدين الذي يعتنقونه، ولكنه لم يلقَ آذانا واعية من الرهبان والحكام(١١٧).

ومـــــن الأساليب التي اخترعوها في هذه القرون قيام الجماعات بالدعوة إلى النصرانيـة، فبدلًا مـــن أن يقوم بالدعوة شخص واحد، فيصيب تارةً ويخطئ أخرى، أصبحوا جماعات، فقامت الدعوة على أسس منظَّمة، وشروط معتبَرة، رأوا أنها تنفع في أن تُؤتي الدعوةُ أُكُلَها إذا قاموا بالدعوة بتلك الطريقة(١١٨).

وهكذا يلحظ الناظر إلى تأريخهم مدى التغير والتطور عندهم بوضوح وجلاء من خلال سَوْق الأدلة والبراهين على ذلك، وبيان القصد من ذلكم التطور، وعدم الجدوى من وراء ذلك التغيير، فأسلوب الغلظة والقهر والقتل لا يجعل الباطل حقًّا عند الاعتياض به عن أسلوب الرفق واللين، بل هي معانٍ خارجة عن الشيء المدعوِّ إليه، قد تنفع مع شخص، وتخفق مع آخر.

ومثله إقحامُ الحكام والسلاطين، وتنظيمُ الدعوة، ومراعاة ما قرَّره الآباء، وغيرها من الأمور قليلة الفائدة والعائدة، إذ مناط ذلك كله إلى الشيء المدعوِّ إليه، وكيف يستقرُّ الناس عليه أو يبادرون بالدخول إليه وهو مزيج من الآراء الفلسفية، والأفكار الوثنية الدخيلة والمتسلِّلة إلى ديانة النصارى.

المطلب الثاني: التلفيق بين مذهب الخلقدونيين وغير الخلقدونيين

تحدَّثنا عن الانشقاق الذي حصل بين الكنائس الشرقية والغربية عقيب مجمع خلقدونية، وكانت العلاقة بين طبيعتَيِ المسيح -الإلهية ، والإنسانية- هي سبب الخلاف، فكلٌّ استحسن رأيًا لم يتقبَّله الطرف الآخر، ورأى كلٌّ منهما في الآخر تحريف طبيعة المسيح والعبث بها، وعندئذ لا ينبغي الوقوف طويلًا أمام الرأي الآخر، بل تتعيَّن المفاصلة، ويتحتَّم الانشقاق.

واشتدَّت وطأة الخلاف في القرن السادس، فالكنائس الغربية قبلت بهذا المجمع -مجمع خلقدونية-، واعتبرته مجمعًا رابعًا، وامتثلت ما توصَّل إليه المجمع من نتائج تتعلق بطبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية.

---

(١١٦) إنجيل متى (٢١/٢٢).

(١١٧) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١٢٨/١).

(١١٨) أوربا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، (١٧٩/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ولكن الكنيسة الشرقية رفضت هذا المجمع، وتمسَّكت بالمجامع المسكونية السابقة[١١٩].

ومن ثم فإن الكنيسة الغربية قد أكدت وجود طبيعتين وفعلين ومشيئتين متَّحدتين أقنوميًّا في يسوع، بينما الكنيسة الشرقية أكدت وجود طبيعة إلهية إنسانية متحدة، وكذلك في الفعل والإرادة[١٢٠].

ولم يطل الزمان حتى هجم الفرسُ على بلاد الشام ومصر واستطاعوا هزيمة الروم، ومن ثم فقد عاشت الكنيسة الشرقية أفضل أيام حياتها بعد مجمع خلقدونية، فالهيمنة التي كان يفرضها هرقل -الذي كان مؤمنًا بنتائج المجمع- قد ذهبت أدراج الرياح، ولم تعد له سلطة حقيقية على الكنيسة الشرقية، وحمل كهَّانها وأتباعهم على القول بالطبيعتين، أو السياسة التي كان يتبعها في عدم الاعتراف بالبطريرك الشرعي -على حد تعبيرهم-، بل كان يفرض عليهم بطريركًا خاصًّا به يُعرف بالبطريرك الملكي[١٢١].

ثم دالت دولة الفرس، واستعاد هرقل ما فقده، وهنا عاد القول بالطبيعتين يؤرِّق أصحاب الكنيسة الشرقية.

ولكنَّ هرقل رأى أن التوحيد بين الكنيستين بات وشيكًا، فالخطر يهدِّد الكنيستين بظهور دعوة جديدة في العرب هي دعوة النبي ﷺ[١٢٢]، وحينئذ رأى أن الوحدة في الإيمان والكنيسة أمرٌ ملحٌّ، والحاجة إليها ماسَّة، ولا يمكن لأيٍّ من الكنيستين أن تتحاشى هذه الوحدة، ولكن الكنيسة الشرقية متمسكة برأيها في طبيعة المسيح، وتسمِّي مَن خالفها هراطقة، وكذلك الحال في الكنيسة الغربية.

ولعل الطرفين رَأَيَا نقاط الاتفاق بينهما من حيث الكلام عن الاختلاط والتغير والانقسام والانفصال بين الطبيعتين، فجميعهم يؤكد استمرار اللاهوت والناسوت من الخصائص والوظيفة والطبيعة في المسيح، فالذين يرون الطبيعتين لا يجزِّؤون، والذين يرون الطبيعة الواحدة لا يخلطون أو يمزجون[١٢٣]، فالقاسم المشترك

---

(١١٩) بولس غريغوريوس -وليم لازاريث -نيكوس نيسيوتيس مجمع خلقيدونية، أيفرق أم يجمع، نحو تقارب في المسيحانية الأرثوذكسية، -، مرجع سابق، (ص:١٢).

(١٢٠) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١/١٢٩).

(١٢١) قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، أثناسيوس المقاري، مطابع نوبار، الطبعة: الأولى، ٢٠١٣م، (ص:١٤٨).

(122)See: Maximus the Confessor and his Companions: Documents from Exile -Oxford Early Christian Texts-, by Pauline Allen-Bronwen Neil, Oxford Univ,2004,(P : 1-2).

(١٢٣) مجمع خلقيدونية، أيفرق أم يجمع، نحو تقارب في المسيحانية الأرثوذكسية، بولس

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

موجود[١٢٤]، والطقوس الإيمانية عندهم تكاد تكون واحدة كالمعمودية والإيمان بالأناجيل، وتبجيل اللاهوتيين القدامى، والاعتراف بما توصَّلت إليه المجامع المسكونية الثلاثة الأولى: نيقية، والقسطنطينية، وأفسس، وغير هذه الأمور المساعدة على إنهاء هذه المقاطعة بين الكنيستين والاعتياض عن ذلك بالاتحاد والاتفاق[١٢٥].

لقد تم اختيار الإشكالية -في زعم المونوثيليتية- جيِّدًا من خلال تحديد أساس المشكلة ليكون هناك حَلٌّ صحيح لها، فظهرَ سرجيوس الأول بطريرك القسطنطينية[١٢٦] منذ السنوات الأولى من حكمه، ورأى أن يسترضي الجميع بحيث يوافق الكنيسة الغربية في كون المسيح له طبيعتان، وأن يوافق الكنيسة الشرقية ولكن يعتاض عن قولهم بطبيعة واحدة إلى مشيئة واحدة، وهو ما عُرف بـ"المونوثيلية"، حيث قامت هذه الفكرة على أن مشيئتَي المسيح -الناسوتية ، واللاهوتية- متطابقتان، وليستا متغيرتين، وعندئذ فهُمَا مشيئة واحدة.

وفي ضوء هذا أَمِلَ الإمبراطورُ قبولَ الكنيستين المتنازعتين بهذه العقيدة الملفَّقة بين الخلقدونيين وغير الخلقدونيين، وأن يتفرَّغ هو لما يهدِّد أمر مملكته من الفرس والعرب الذين برزوا مؤخَّرًا[١٢٧] كما قال بعض الكُتَّاب:

"The project of reconciliation of the Monophysites with the

غريغوريوس -وليم لازاريث -نيكوس نيسيوتيس-، مرجع سابق، (ص:٢٤-٢٥).

(124)See: Nicene and Post-Nicene Fathers: First Series -The Early Church Fathers, First Series-, by Alexander Roberts - James Donaldson - Philip Schaff - Henry Wace, Hendrickson, 1999, (P : 440); A History of the Christian Church, by Williston Walker - Richard A. Norris - David W. Lotz , Scribner, New York,2014 ,(P : 171-172); The Early Church -The Penguin History of the Church-,by Henry Chadwick, Penguin Books, London,1993,(P : 204).

(١٢٥) الحوار اللاهوتي – المداولة المسكونية بين لاهوتيين من الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية-، أوتو موير، ترجمة: مارسيل خوري، دار ماردين، حلب، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م، (ص:١٠-١١).

(١٢٦) البطريرك سرجيوس الأول من القسطنطينية، مخترع العقيدة النصرانية المونوثيليتية للجمع بين الخلقدونيين والغير خلقدونيين، توفي سنة ستمائة وثمان وثلاثين، وعُيِّن بطريرك للقسطنطينية إلى وفاته، انظر: تأمل وصل مع مسيحيي القرنين السادس والسابع، ريمون رزق، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢، (ص: ٧٩).

(١٢٧) الحوار اللاهوتي – المداولة المسكونية بين لاهوتيين من الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية-، أوتو موير، مرجع سابق، (ص:٢٧)؛ قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، أثناسيوس المقاري، مرجع سابق، (ص:١٤٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

Chalcedonians on the basis of the formula two natures - one activity (energeia) was designed by the Emperor Heraclius and the Patriarch of Constantinople Sergius"[128].

فهذه العقيـــدة الملفَّقـــة كان الغرض منها سياسيًّا بحتًا، وتم اختراعها لوأدِ الخـــلاف الحاصـــل بين الكنيستين: الشرقية والغربية، وعُقدَ مجمعُ "ترو للو" -وهو المجمع المسكوني السادس في القرن السابع-[١٢٩]، ورامَ الأباطرةُ والبطاركةُ الخروجَ بحلٍّ وتوفيقٍ بين المذهبين ولكنهم باءوا بالفشل[١٣٠].

ولكـــنَّ هرقل طبَّع هذه العقيدة الجديدة، وأصرَّ عليها، ورأى أنها تُرضي الجميع، ولا تتنافى مع أيِّ طرف من الأطراف، ومن ثم فإن الضرب عنها صفحًا يُعتبر تمرُّدًا على قرارات الإمبراطور وإصرارًا على الانقسام والانشقاق الذي بات يهدد الإمبراطورية التي أصبحت على شفا جرفٍ هارٍ، فأرغم الجميعَ على قبول المونوثيلية.

ولكن الأقباط لم يستجيبوا له، فازدادت النار تأجُّجًا، ورأوا أن هذه العقيدة الملفَّقة ليست سوى اختلاق وإفك، وأنها نصرت الخلقدونيين فقط، وأن القول بالمشيئة الواحدة لا يمكن أن يكون عِوَضًا عن الطبيعة الواحدة[١٣١].

لم يلتفت هرقل إلى ما أبداه الأقباط مِن تذمُّر تجاه هذه العقيدة الملفَّقة، بل عيَّن رجلًا من عنده بطريركًا ملكانيًّا على مصر، وأمره أن يحمل جميع المصريين بالقوة على الاعتقاد الجديد والرضا به، فامتثل لهذه الأوامر التي جاءته من هرقل، وجعل

---

(128)Theological controversy in the seventh century concerning activities and wills in Christ, Hovorun, Serhiy, Faculty of Theology-University of Durham, 2003,(P : 97). And See: Microcosm and Mediator: The Theological Anthropology of Maximus the Confessor, by Lars Thunberg, Chicago: Open court,1995,(P:430) ; The Œcumenical Synods of the Orthodox Church, Thornton, James, Concise History , 2012 ,(P : 93); Jesus: Fallen?: The Human Nature of Christ Examined from an Eastern Orthodox Perspective, Hatzidakis, Emmanuel, 2013 ,(P:7).

(١٢٩) سيأتي الحديث عنه مستوفى في مكانه.

(١٣٠) الحوار اللاهوتي – المداولة المسكونية بين لاهوتيين من الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية -، أوتو موير، مرجع سابق، (ص: ٢٧).

(131)See: A History of the Christian Church, by Williston Walker - Richard A. Norris - David W. Lotz , op. cit ,(P :173).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

السجن والضرب والنفي عقوبة لكل أحد يخالف هذه العقيدة الملفَّقة من عقيدة الخلقدونيين واللا خلقدونيين(١٣٢).

وفي المقابل فإن بعض الخلقدونيين بعد ذلك تغيَّر رأيهم تجاه هذا الجمع، ورأوا أن القول بمشيئة واحدة فيه انتقاص لما قرَّروه ولا سِيَّما في طبيعة المسيح البشرية، وحينئذٍ انتهى النصارى في طبيعة المسيح إلى ثلاثة مذاهب: الخلقدونيين، وغير الخلقدونيين، وأتباع المونوثيليتية(١٣٣).

وبدلًا من أن يتصارع مذهبان، برز إلى وسط الصراع مذهبٌ ثالث، وكلٌّ يكفِّر الآخر ويصفه بالهرطقة، ويبدي رأيه في منشأ البدعة عند مناوئيه(١٣٤).

إذا تبيَّن ذلك، فإن الذي قصده الإمبراطور باختراع هذه العقيدة لم يتحقق كما أراد، بل زاد الأمر ضغثًا على إبالةٍ، ولهذا تراجع عن فرض العقيدة الملفَّقة، ومنع النقاش عن هذه المسألة تمامًا(١٣٥)، وأنَّى له ذلك، بل كانت الرسائلُ والمناقشاتُ والسَّبُّ وتهييجُ الكهَّان لأتباعهم من العوامِّ ضدَّ المخالفين، وغير ذلك مما هو مذكور في كتبهم(١٣٦).

وهذا شأن البدع، ولم يكن للإمبراطور التدخُّل في قضايا لا يدرك معانيها، ولا يفهم مناط الخلاف فيها، وإقحامُهُ هو أثرٌ لتطوير النصارى عقيدة إقحام الحاكم في قضايا الدين بعد أن كانت مستقرة على تحييده، ولعل الحاكم لم يكن ليتدخَّل لولا الخلاف الذي كان يقضُّ مضجع مملكته، وليس لأيٍّ من المتنازعين دليلٌ يلجأ إليه أو برهانٌ يعتمد عليه، وإنما إذا جرى نقاشٌ فكريٌّ فاللعن والتكفير هو السمة البارزة على

---

(١٣٢) قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، أثناسيوس المقاري، مرجع سابق، (ص:١٤٨-١٤٩).

(133)See: Cyril of Alexandria: The Christological Controversy, Its History, Theology, and Texts, Mcguckin, John A. St, Place of publication not identified: St Vladimir'S Seminary,2006,(P : 356-357).

(134)See: Orthodox Dogmatic Theology: A Concise Exposition, by Michael Pomazansky-T: Seraphim Rose, Platina, Calif: Saint Herman of Alaska Brotherhood,2015,(P : 380).

(١٣٥) الحوار اللاهوتي – المداولة المسكونية بين لاهوتيين من الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية-، أوتو موير، مرجع سابق، (ص: ٢٨).

(١٣٦) الخريستولوجي بعد مجمع خلقيدونية – الرسائل بين القديس ساويرس الأنطاكي وسرجيوس النحوي-، لاين تورانس، ترجمة: راهب من دير أنبا أنطونيوس، (ص:١٧-٣٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أخلاق المتناقشين، وإنْ تركهم وشأنهم أشغلوا الناسَ بالخلاف الذي لا ينتهي أو يقف عند حدٍّ.

إن هذا التأييد الذي جرى من البعض يؤكد مدى انصياع النصارى للأفكار الدخيلة على العقيدة، وعدم امتثالهم بما يتغنَّون به من التمسك بما رسمه الآباء، وهذه نتيجة حتمية، إذ ما رسمه الآباء لم يكن سوى أفكارا تلقَّفوها من آراء الفلاسفة، والعقائد الوثنية، فما الذي يجعل تقريرهم مقدَّمًا على غيره؟

المطلب الثالث: الجدال العقدي النصراني

إن الناظر إلى عقيدة النصارى يجد أن الوشائج بين النصارى كبيت العنكبوت، فالخلاف والجدال فيما بينهم أو مع غيرهم هي السمة الظاهرة على المنتسبين إليهم في قضايا تقتضي التسليم بها لا محالة، لا الجدال والمراء فيها، ولكن العناد الذي يتصفون به جعل النشاط الجدلي حاضرًا لدى المنتسبين إلى هذه العقيدة، فلا يخلو في زمنٍ دون زمن، بل كان مصاحبًا لهم طيلة حياتهم، ولم يكونوا يخرجون من جدالهم بعد نزاعهم بوفاقٍ يتوصَّلون إليه، أو هدى يسيرون عليه، بل البغض والكراهية واللعن والطعن وغيرها من المعاني التي تدور في هذا الفلك هي التي تسيطر على الموقف، وتشغل الحيِّز بعد كل نزاع أو جدال، وما يصاحبه من كلام يتسم بالإجمال والإهمال والإغفال للحجج والبراهين، والاعتياض عن ذلك بالسلطة لتأييد رأيٍ على رأي[١٣٧].

فإذا كان ذلك كذلك، فقد ظهرت أساليب جديدة ومواضع جديدة في العقيدة النصرانية دعتهم إلى تغيير أساليب الجدال، فالكنيسة الشرقية لم تعد تهتمُّ لرأي الامبراطور بعد مجمع خلقدونية، ولا يستطيع فرض رأيٍ معيَّن عليهم إلا من خلال استخدام القتل أو النفي لرهبانها، ومن ثم فإن القيود التي كانت تؤثر على فرض الآراء لم تعد موجودة.

إضافةً إلى ذلك؛ فإن الدين القائم على عقول الرجال لن يصل إلى حالة من الثبات والاستقرار، بل إن العقول تتفاوت في فهم النصوص، ويظهر الخلاف، ويبرز أصحاب تضخيم المسائل والاصطلاحات، فكيف إذا كان الشيء المتناظَر فيه لا أساس

---

(137)See: A history of Simony in the Christian Church-From the Beginning to the Death of Charlemagne (814), Dissertation Fob the Doctorate in the Ology at the Catholic University of America, Keverend N. a. Weber, S.M., S.T.L, Baltimore J. H. Furst Company, 1909, ,(P : 1) ; Lessons from the Adventist Pioneers in Dealing with Doctrinal Controversy,” unpublished presentation to a symposium of the Adventist Theological Society, Jerry Moon, Andrews University, 1997,(P : 16).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

له سوى عقول الرجال، فإن إمكانية الاتفاق بعد ذلك متعذِّرة أو متعسِّرة، والسعي إلى ذلك عملٌ بلا جدوى، ووجود قوانين تضبط ذلك الجدال منتفية.

وظهر في الأرجاء والأنحاء دعوة جديدة لا تخضع لأيِّ سلطان سوى سلطان الباري ﷻ مما جعل النصارى يغيِّرون الأساليب التي يلجأون إليها في الغالب، ولا سِيَّما من كانوا ينتسبون إلى الكنائس الشرقية، فكانت حُججهم تتهاوى أمام براهين المسلمين فإذا هي زاهقة، قال تعالى بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ [الأنبياء: ١٨].

❍ أولًا: الجدال بين النصارى:

ظلَّ الجدال مسيطرًا على النصارى في هذا العصر في قضايا عدة يمكن جمعُ أطرافها في صعيدٍ واحد عند التقصي والاستقراء، ولم يكن حوارًا يُبرز فيه كلٌّ ما عنده من الحقائق والبراهين فيجعل خصمه عاجزًا عن الرد، بل كانت سمة الجدال هو المراء والرمي بالبدعة والهرطقة لا أقلَّ ولا أكثر، وكان من أبرز هذه القضايا المتعلقة بالعقيدة في هذه القرون ما يأتي:

- **القضية الأولى:** طبيعة المسيح؟
- **القضية الثانية:** الإيمان بالمسيح أهو من طبيعته فقط أم من طبيعته ونعمته؟
- **القضية الثالثة:** هل الألم الذي شعر به المسيح وقت الصلب وقبله كان عن طريق اللاهوت أم الناسوت؟
- **القضية الرابعة:** هل المسيح أقنوم باعتباره إنسانًا أم لاهوتًا؟
- **القضية الخامسة:** هل تسمية مريم بوالدة الإله على وجه الحقيقة أم المجاز[١٣٨]؟

أما القضية الأولى وهي طبيعة المسيح فهي قضية شائكة لدى النصارى، كانت ولا زالت وستظل عندهم معضلة لن تُحَلَّ ما بقوا حتى يؤمنوا بالواحد الأحد، وقد نالت حظًّا من الجدال، إلا أن التطور الجديد كان يتمثل في الجدال حولها في المجامع وغيرها، والحِجَاج يجري بين الأساقفة عن طريق الاجتماع الذاتي البعيد عن أعين السلطة ورعايتها، أو عن طريق إرسال الرسائل التي كانت تتضمن الأسئلة والأجوبة[١٣٩]، وتطور الأمر إلى أن الجدال حولها لا يقتصر على ترك المخالفة كما كان في السابق، بل يُعتبر انسلاخًا من النصرانية جملةً وتفصيلًا، ومن ثم فإن من أراد أن يرجع عن مخالفته فإن ذلك لا يكفيه لأن يعود إلى النصرانية، بل يرجع إليها من

---

(١٣٨) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١٤١/١).

(١٣٩) انظر: الاصطلاحان: طبيعة وأقنوم في الكنيسة الأولى، القمص: تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مار جرجس - اسبورتنج، الإسكندرية، (ص:١٨)؛ لماذا ترفضون التجسد؟؟ الأغنسطس: حسام كمال عبد المسيح، مرجع سابق، (ص:٣-٧)؛

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

خلال الطقوس المعروفة عندهم لمن يريد أن يدخل إلى النصرانية في أول حياته كالتعميد مثلًا، وهذا الأمر هو ما كان يفعله الخلقدونيون في القرن السادس، حيث كانوا يرفضون الرجوع إليهم من مخالفيهم غير الخلقدونيين بدون التعميد حتى وإن عُمِّدوا قبل ذلك[١٤٠].

فهذا التطور المتمثل في التكفير مجافٍ لمألوف النصارى عند ظهور أيِّ هرطقةٍ، وغلوٍّ في موقف الجميع من الخصم، ومجازفةٍ في إطلاق الأحكام على قضايا ينكرونها اليوم ويقرُّونها في الغد، ثم يعود الإقرار إلى ما كان عليه من النقض والإبطال والرفض، ويجري هذا وذاك في ظلِّ علمٍ عليل وفقهٍ كليل.

وأما القضية الثانية، فالحديث عن نعمة الله التي امتنَّ بها عن طريق يسوع لا يكاد النصارى يفتأون من الحديث عنها، وذكرها، وكم تكرَّرت في أعمال الرسل، ومن ذلك قول بطرس: " فلِماذا تُجَرِّبونَ اللهَ الآنَ بِأَن تَجعَلوا على أَعناقِ التَّلاميذِ نِيرًا لم يَقْوَ آباؤُنا ولا نَحنُ قَوِينا على حَملِه؟ فنَحنُ نُؤمِنُ أَنَّنا بنِعمةِ الرَّبِّ يسوعَ نَنالُ الخَلاصَ كما يَنالُ الخَلاصَ هٰؤُلاءِ أَيضًا"[١٤١].

وكثيرًا ما يختم بولس رسائله بقوله: " وَالآنَ أَسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي للهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ، الْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا مَعَ جَمِيعِ الْمُقَدَّسِينَ"[١٤٢]، فالله ﷻ -عندهم- برَّ بالإنسانية خيرًا عن طريق نعمته يسوع.

فهذا التطور الجديد في الخوض عن الإيمان بالمسيح لم يكن موجودًا، بل كانوا يتحدثون عنه وعن الذي جاء به في آنٍ واحد، دون الفصل بينهما أو التخيير بينهما.

ولا جَرَمَ أن يحصل نزاعٌ بعد ذلك، إذ الحديث عن النعمة كان من اختراع بولس، فلمَّا ابتدع قضية الخلاص، لم يكن له بُدٌّ من إظهار القول بنعمة المسيح، فحصل النزاع بعد ذلك في موجب تأليه المسيح أهو طبيعته اللاهوتية أم نعمة الله المتجلِّية في خلاص البشرية من الخطيئة عن طريق يسوع -وكلاهما من ابتداع النصارى-[١٤٣].

وأما القضية الثالثة: هل الألم الذي شعر به المسيح وقت الصلب وقبله كان عن طريق اللاهوت أم الناسوت؟

---

[١٤٠] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١٥٦/١).

[١٤١] سفر أعمال الرسل (١٠/١١-١٥).

[١٤٢] سفر أعمال الرسل (٣٢/٢٠).

[١٤٣] براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح، محمد حسن عبد الرحمن، دار الكتب الحديثة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٩م، (ص:٦٦ -٧٦)؛ ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، يوسف رياض، الطبعة: السادسة، ١٩٩٩م، (ص:٩٨)؛ الكفارة في المفهوم المسيحي، يوسف رياض، مطبعة كنيسة الأخوة، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م، (ص:٥-٦).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وهذا تساؤل منطقيّ، إذ لو كان اللاهوت فهو بعيد، فكيف يصح التصوُّر بإلهٍ يتألَّمَ وينالـه الأذى، وإن كان الناسوت، فعلى أيِّ أساسٍ وقع الاختيار على عيسى، فهذا الأمر جعل الجدال يحتدم، والنقاش يحتدّ، فرأى بعضُهم أن الألم لم يقع على اللاهوت، بل أصاب الجسدَ الإنساني، وهو الذي نزل منه الدم، وتم فرضُ هذا الرأي، والحكمُ على المخالف بالهرطقة[١٤٤]، وهو أيضًا من القضايا الجديدة.

لكن يثار سؤال وهو: كيف قام من الموت بعدئذٍ، وهل هناك بشرٌ يموت ويُدفن ثم يقوم بعد ذلك من القبر ويصعد إلى السماء؟، وقد أشار بولس نفسه إلى هذا الأمر فقال: " لكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: كَيْفَ يُقَامُ الأَمْوَاتُ؟ وَبِأَيِّ جِسْمٍ يَأْتُونَ؟"[١٤٥]، ثم أجاب عن ذلك بقوله: " يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْمًا حَيَوَانِيًّا وَيُقَامُ جِسْمًا رُوحَانِيًّا. يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ"[١٤٦]، فالقيامة بعد الموت لأيِّ شخص لا تكون بالجسد، بل بالروح، ولكن لوقا يحكي أن المسيح وقف على أصحابه الذين هربوا وتركوه ولم يبقَ أحدٌ منهم بعد القبض عليه، فقال لهم وهم في تخفٍّ وجزعٍ و: "هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ! فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا"[١٤٧]، فخافوا وأصابهم الهلع والجزع، وظنُّوا أن جِنِّيًّا أو شبحًا يقف فوق رؤوسهم، ولم يصدِّقوا حتى طلب منهم سمكًا وعسلًا: "فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي. وَحِينَ قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِين مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟ فَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ. فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ"[١٤٨].

فها هو المسيح بينهم بجسده وروحه، ولم يقل بأنه مات أو صُلِب، فمن أين جاءت فكرة الصلب سواء أكانت للابن أو للمسيح؟!

بل إن بولس نفسه -كما سبق الحديث عن سبب رجوعه إلى ديانة النصارى- لم يقل بأن عيسى ظهر له ورآه، وأكل أمامه، وقال له: تحسَّسْني، كلُّ هذا لم يحصل، فإن كان عيسى قد صُلب ورجع بعد صلبه لطلابه كما كان، فلماذا لم يظلّ ظهوره بعد ذلك

---

(١٤٤) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١٤١/١)؛ الصليب في المسيحية – رؤية كنسية آبائية –، الأنبا ياكوبوس، الكنوز القبطية، ٢٠١٩م، (ص:١٩).

(١٤٥) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٣٥/١٥).

(١٤٦) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٤٣/١٥-٤٤).

(١٤٧) إنجيل لوقا (٢٤ /٣٦-٣٧).

(١٤٨) إنجيل لوقا (٢٤ /٣٨-٤٣).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

على غير طلابه بذات الصورة التي ظهر بها لطلابه؟
والجواب: بأن الصَّلب لم يحصل لشخص المسيح مطلقًا، وإنما لشبههِ كما أخبر القرآنُ فقال تعالى: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا [النساء: ١٥٧]، وكان هذا الشبه مؤمنًا به، متبعًا له، وقد فعل ذلك منه رغبةً في فداء المسيح لا كما تزعم النصارى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لما أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء، خرج على أصحابه وهم في بيتٍ، اثنا عشر رجلًا، ورأسه يقطر ماءً ، فقال: أيُّكم يُلْقَى شبهي عليه فيُقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ ، فقام شابٌّ مِن أحدثِهم سنًّا ، فقال: أنا، فقال: اجلسْ، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب ، فقال: أنا، فقال: اجلسْ، ثم أعاد عليهم الثالثة، فقال الشاب: أنا، فقال عيسى عليه السلام: نعم أنتَ، فأُلقيَ عليه شبهُ عيسى عليه السلام، ثم رُفع عيسى من روزنةٍ كان في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشاب للشبه فقتلوه، ثم صلبوه)[١٤٩].
وأما القضية الرابعة، فلا عجب أن يحدث النزاع حولها، فإن مصطلح الأقانيم وما يدور حولها من أشدِّ المصطلحات التي يلاقيها النصارى، فلم يقدروا على فهمها، ومن ثم فإن الاتفاق حول معناها والمراد منها غير متأتٍّ، وكيف يكون الاتفاق على شيء لم يُتصوَّر، وكلُّ مَن رام إيقاظ عقله لفهمه أو لمعرفة المراد منه جاءته العبارات التي تحول بينه وبين ذلك.
والحاصل: أنهم يعنون بالأقنوم الذات، أو الشخص، وهي لفظة بالسريانية[١٥٠]، والإشكالات المتعلقة بالأقانيم كثيرة جدًّا[١٥١]، وهم يقرُّون بذلك، ويقول قائلهم: " لماذا نؤمن بأن الله هو في ثلاثة أقانيم؟ أليس من الأسهل أن نؤمن وببساطة بوحدة الله كما

---

(١٤٩) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: التفسير، سورة الصف، حققه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (١٠/ ٢٩٩)، برقم(١١٥٢٧).
(١٥٠) العهد الجديد السرياني، ترجمة بين السطور - سرياني وعربي، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، ٢٠٠٣م، (ص:٣٠٣)؛ مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية، القس بيشوي حلمي، دار نوبار، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م، (ص:١٢)؛ مائة سؤال يبحث عن جواب، الأستاذ: عماد حنا، هيئة الخدمة الروحية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م، (ص:٢٦-٢٧).
(١٥١) التفاسير البيضاوية المسيحية، الرسالة إلى العبرانيين، القس و.هـ.ت. جردنر وغيره، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، (ص:٢١)؛ مئة سؤال يبحث عن جواب، الأستاذ: عماد حنا، مرجع سابق، (ص:٢٦)؛ منطق الثالوث، هنري بولاد اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة: السادسة، ٢٠١٢م، (ص:٤٣-٤٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

في أديان أخرى؟ إنه لمن الأسهل بالتأكيد، ولكن عقيدة الثالوث القدوس هنا أمامنا كتحدٍّ وكصليب بالمعنى الصحيح لكلمة الصليب"[١٥٢].

فالإيمان بالأقانيم الثلاثة هي إيمان بعذاب عقليّ وجسديّ وروحيّ كحال المصلوب تمامًا، وهو في الوقت ذاته تحجُّر وتصلُّب وجمود كالمصلوب تمامًا، أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النحل: ٢١]، ومن أجل هذا جحدَ غالبُ النصارى هذه الديانة الخرافية التي لا يصدِّقها عقل، ولم يأتِ بها نقل، ولا تقرُّها الفِطَر السليمة أو الأذهان المستقيمة، فاتجهوا إلى الإلحاد وإنكار المسيح جملةً وتفصيلًا، وجعله خرافة لا حقيقة له[١٥٣].

ولكن النصارى يصرُّون على هذه الفكرة فيقول قائلهم: " لماذا -إذن- الإيمان بالله كثالوث؟ ... الله شخصيّ ومحبَّة، هذا المفهومان يفرضان المشاركة والمبادلة... لا يكون الإنسان شخصًا حقيقيًّا إذا كان منعزلًا ومستقلًّا بذاته، بل يكون فردًا، رقمًا في إحصاء!

إن الله أفضل بكثير من الأفضل الذي نعرفه فينا. إن كانت العلاقة: أنا وأنت هي العنصر الأثمن في حياتنا الإنسانية، فلماذا لا نطبِّقها بطريقة ما على كيان الله الأزلي"[١٥٤].

وإن هذا التفسير الذي يؤكد ضرورة الثالوث، وافتقار الله ﷻ إلى علاقته بالأقنومين -الابن والروح القدس- كافتقار الإنسان إلى شريك لكيلا يكون منعزلًا ومستقلًّا بذاته، أو رقمًا في إحصاءٍ لمن أعجب العجاب، وهو مرفوض من جهات شتَّى:

الأولى: أن الإنسان ليس محتاجًا لشريك ليسعد ويمرح، بل السعادة قد لا تكون إلا مع عدم وجود شريك ينغِّصها ويكدِّرها.

الثاني: أن تشبيه الخالق بالمخلوق ممتنع لوجود الفرق بينهما.

الثالث: أن النصارى يُثبتون الفَرْق من خلال تفريقهم بين عيسى المسيح وعيسى الابن، ويقولون بأن الابن صار أقنومًا باعتباره لاهوتًا لا ناسوتًا، فإن كان الخالق مثل الإنسان، فلماذا لم يكن المسيح عيسى أقنومًا باعتباره ناسوتًا إن كان الفرق بين الخالق والمخلوق منتفيًا وغير موجود.

وهذه هي الإشكالية التي بدأت تظهر في القرن السادس، وهي الحديث عن أيِّ قسمٍ من طبيعتي المسيح -اللاهوتية والناسوتية- أصبح أقنومًا بها، وعلى هذا الكلام

---

(١٥٢) في معرفة الله: الله ثالوث، المطران: كاليستوس وير، ١٩٩٢م، (ص:٤).

(١٥٣) انظر: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، أحمد زكي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٩٩٥م، (ص:٨٣-٩١).

(١٥٤) في معرفة الله: الله ثالوث، المطران: كاليستوس وير، مرجع سابق، (ص:٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المذكور آنفًا ينتفي هذا الإشكال جملةً وتفصيلًا.
وظهر في القرن السادس من يرى استحالة كون الواحد ثلاثةً والثلاثة واحدًا، لهذا رأى أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة، وثلاث طبائع، وجوهر واحد(١٥٥)، وظهر في هذا القرن من يرى اتحاد المسيح بالله ﷺ قبل الاستقرار في أحشاء مريم(١٥٦).
واختلاف الآراء في هذه القضية لصعوبة فهمها، ويصرِّحون بذلك بلا خفاءٍ، فيقولون:
"although the doctrine remains a highly complicated area of Christian theology to this day"(157).
ونصَّ كثيرٌ منهم على استقاء هذه العقيدة من الديانات الوثنية القديمة(١٥٨)، وحينئذ فإن الثالوث هو الباب الواسع الذي يلج منه من يريد عقيدة الوثنيين القدامى.
وأما القضية الخامسة، فقد جرى الحديث عن النزاع بين النصارى حول تسمية مريم بوالدة الإله، وقد أنكرها نسطور، وانعقد بشأنه مجمع أفسس، وقرَّروا جواز تسمية مريم بوالدة الإله، ولكن سرعان ما دبَّ الخلاف بين المجيزين في القرن السادس، فمنهم من قال بأن هذه التسمية هي من قبيل التكريم والتشريف، وليست على سبيل الحقيقة، وأن ما جرى إقراره في مجمع أفسس كان على هذا النحو فقط(١٥٩).
وأما من قال بأنها على الحقيقة فاستدلَّ بما جاء في لوقا في مخاطبة الملك لمريم وقوله لها: " فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ"(١٦٠)، وما دام أنه ابن

---

(١٥٥) تاريخ الأقباط، المقريزي، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، (ص:٧٦)؛ مجمع خلقيدونية، إعادة فحص، -بحث تاريخي ولاهوتي-، الأب: فِ. سي. صموئيل، ترجمة: عماد موريس إسكندر-جوزيف موريس فلتس، (ص:٤٩٦).
(١٥٦) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١٤٣/١).
(157)Early Christian Explanations of the Trinity in Arabic in the Context of Muslim the Ology, by Sara Leila Husseini, A thesis submitted to the University of Birmingham for the degree of Doctor of Philosophy- School of Philosophy, Theology and Religion-, University of Birmingham,2011,(P :37).
(158)See: An Analysis of the Historical Records of Ancient Egypt; with extracts from the treatise on Egyptian Chronology of the late Professor Rask, J. C. Prichard, Kessinger Publishing,2007,(P :285).
(١٥٩) والدة الإله القديسة العذراء مريم – الأنبا بيشوي، الكنوز القبطية، ٢٠١٩م، (ص:١٦).
(١٦٠) إنجيل لوقا (٣٥/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الله وهي التي ولدته حقيقةً؛ فالاسمُ كذلك على وجه الحقيقة لا المجاز، كذلك أيضًا بأن الذين يشار إليهم بالبنان من الآباء الرسوليين قد أقرُّوا بهذا اللقب على وجه الحقيقة وليس المجاز[١٦١]، وهو لقبٌ مخترَع لم يأتِ له ذكرٌ في الإنجيل نصًّا، وإنما استدلوا بدليل لم يُقبل إلا بالقهر والغلبة، وإلا لما احتاجوا إلى انعقاد مجمع أفسس، ومن أجل هذا جاءت المعارضة والإنكار وقد قادهم إلى تأليه مريم ومحاذير كثيرة.

❍ ثانيًا: الجدال مع المسلمين[١٦٢]:

جـــرى الجدال، والحجاج، والمناظـــرات بين المسلمين والنصارى في مسائل شتى، وقد حُضَّ المسلمون على "المناظرة والمشاورة، لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة، حيث يقول لمن رضي دينهم: وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [الشورى: ٣٨]، كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة لمن عدل عن السبيل العادلة، حيث يقول آمرًا وناهيًا لنبيِّه والمؤمنين، لبيان ما يرضاه منه ومنهم: ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ [النحل: ١٢٥]، وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [العنكبوت: ٤٦].

فكان أئمة الإسلام ممتثلين لأمر المليك العلَّام، يجادلون أهل الأهواء المضِلَّة، حتى يردُّوهم إلى سواء الملَّة، كمجادلة ابن عباس - رضي الله عنهما - للخوارج المارقين[١٦٣]، حتى رجع كثيرٌ منهم إلى ما خرج عنه من الدين، وكمناظرة كثيرٍ من السلف الأوَّلين لصنوف المبتدعة الماضين، ومن في قلبه ريبٌ يخالف اليقين، حتى هدى الله من شاء من البشر، وعلن الحقُّ وظهر، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر"[١٦٤].

---

(١٦١) سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم العذراء، القمص: يوسف أسعد، مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمرانية، الطبعة: الأولى، ١٩٧٦م، (ص:٣٦٩-٤١٠)؛ العذراء مريم والدة الإله، الأستاذة: إيريس حبيب المصري، الكنوز القبطية، ٢٠١٩م، (ص:٦).

(١٦٢) كتب علي بن سهل الطبري كتابًا بعنوان: «الجدل الإسلامي المسيحي في القرن الثالث الهجري»، والكتاب مطبوع، وقد نشرته دار المدار الإسلامي، ولم يتسنَّ لي الوقوف عليه.

(١٦٣) طائفة من المسلمين خرَجوا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وخلعوه؛ فقاتلهم، ثم غلب عليهم هذا المذهب، وفارقوا الطاعة، ولم يدخلوا في بيعة أحد من الأئمة والخلفاء، ولهم عدة أسماء، منها: الحرورية والشراة والمحكِّمة والنجدات وغيرها، انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (٤٨١/٧).

(١٦٤) تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، ابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والناظر إلى عقيدة الإسلام، وما يعتقده النصارى يجد الفرق الواسع، والبون الشاسع بين العقيدتين، فالإسلام دين ربَّانيّ يقوم على التوحيد المطلق الذي لا يقبل الشرك بأيِّ حال من الأحوال، بينما العقيدة النصرانية ليست دينًا سماويًّا، بل خليط من الأفكار البوليسية، والوثنية، والفلسفية، ومزيج من الأفكار التي يصعب تصوُّرها، فلا يكاد يفهمها أهلها لكي يشرحوها لغيرهم، ولا يمكن للأجانب عنها قبولُها بأيِّ حال من الأحوال، وقد نصَّ بعضُهم على تحرير محلِّ النزاع الخلاف فقط في مسألة طبيعة الإله(١٦٥)، وأشار بعضهم إلى أكثر من ذلك فقال:

"that the Qur’an proposes extol¬ling Jesus and his mother Mary، as Christians do، and therefore that the two religions are one in this regard. that Christians were not declared infidels for extolling Jesus and Mary، but for attributing to them things unbefitting to both the divine majesty and human lowliness، such as paternity، sonship، inhabitation، union، or that God should take consort and son"[166].

إضافةً إلى ذلك، فإن النصارى يعترفون بالمزايا الكثيرة التي تشكَّلت عندهم عن الإسلام وأهله، وانتفاء تلكم المزايا لدى النصارى(١٦٧)، ومن ثم فإنَّ حصر الخلاف بين المسلمين والنصارى في طبيعة المسيح تحجيرٌ لواسعٍ لا يستند إلى الدقة.

فإذا كان ذلك كذلك، فإن الجدال حتميّ وسائغ، وإنْ كان يعتريه بعض المعوِّقات لضعفِ التصوُّر عند النصارى عن الإسلام، فلم يُجمعوا أمرَهم على قولٍ واحد عن الإسلام، فهل هو هرطقة من هرطقات النصارى، أم هو فِرقة منشقة عنهم، أم هو دين جديد، أم هو بدعة إنسانية أم عمل شيطانيّ، أم حملة ساخرة ضد النصارى أم منظومة فكرية معتبرة تستحق الاحترام والاهتمام والنقاش(١٦٨)؟

وقد اعترفوا بأن الحوار مع المسلمين فيه صعوبة لما يتمتع به النصارى من

- محمد عزير شمس، دار عطاءات العلم - دار ابن حزم، الرياض-بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م، (ص: ٤).

(١٦٥) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، مرجع سابق، (ص:٣٧).

(166)Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfī-, op. cit,(P : 124).

(١٦٧) المرجع السابق(ص:٤٣).

(١٦٨) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، مرجع سابق، (ص:٣٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الظلم للآخرين وعدم الموضوعية واحتقار الآخر، وذمِّه، واستباحة دمه، فيقول قائلهم: "يجب علينا كمسيحيين ونحن نخاطب المسلمين أن نفكر قبل كل شيء في صعوبات وعوائق الحوار مع المسلمين والتي تتعلق بنا إلى حدٍّ كبير، وإلى الظلم والجور الذي أحاط به الغربُ -ذو التربية المسيحية- المسلمين"[١٦٩].

وكان لهذه المناظرات فوائد في إظهار تعنُّت النصارى وبحثهم عن وسائل جديدة في المناظرات ليطوِّروا بذلك خطابهم لغيرهم، ودعوة الآخر عندهم إلى عقيدتهم، فمنهم من رجع عن عقيدته إلى ديانة الإسلام كما فعل علي الطبري[١٧٠]، ومنهم من ظلَّ مكابرًا على الباطل مصرًّا على حاله الذي هو عليه.

وقد سجَّل التأريخ مناظرات عدة جرت بين المسلمين مع النصارى منذ أول وهلة التقى فيها الطرفان مـــع بعضهم البعض، وحصل إبداء الرأي من الطرفين، ومـــــن ذلك: مناظرة حاطب ابن أبي بلتعة[١٧١] ﷺ مع المقوقس[١٧٢] النصراني، إذ قال المقوقس عن الحرب بين النبي ﷺ وبين قومه: أنبيُّ اللهِ يُغْلَب ؟! فقال حاطب:

---

(١٦٩) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، مرجع سابق، (ص:١١).

(١٧٠) الكاتب أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري، كان يكتب للمازيار بن قارن فلمَّا أسلم على يد المعتصم قرَّبه وظهر فضله بالحضرة وأدخله المتوكل في جملة ندمائه، وكان مولده ومنشؤه بطبرستان، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، المحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، (ص: ٤١٤).

(١٧١) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير اللخمي، حليف بني أسد بن عبد العزى شهد بدرًا وما بعدها، وهو الذي كان كتب إلى المشركين يعلمهم بعزم رسول الله، ﷺ، على فتح مكة، فعذره رسول الله، ﷺ، بما اعتذر به، ثم بعثه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، (٢٣٥/١٠).

(١٧٢) المقوقس: لقب، ومعناه: المطوِّل للبناء، يقال في المثل: أنا في القوس وأنت في القرقوس متى نجتمع؟، واسمه: جُريْج بن مِيْنى القِبْطيّ، وهو ملك مصر بعث له رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة، وجبرًا مولى أبي رُهم بكتاب، فلم يبعد عن الإسلام، وأهدى له مارية، ويقال: وأختها سيرين، وبغلة تسمَّى: الدَّلدل. والدلدل: القنفذ العظيم، وقد عدَّه بعضهم في الصحابة، ولكن ردَّه بعضهم، انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق - دار الكلم الطيب، بيروت- دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، (٥٠٠/٦)؛ العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني، (١٧٠/١)؛ تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م)، (٣٨٨/١٦).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أنبيُّ اللهِ يُصْلَب؟! فبُهِتَ المقوقسُ وسكتَ[١٧٣].

وهذه المناظرات منها ما هو مترجم إلى أكثر من لغة مثل مناظرات يوحنا الدمشقي[١٧٤]، وأبي قرَّة[١٧٥]، وقد اعتبر هذان الرجلان الإسلام فرقة مسيحية هرطوقية، ولهذا لم يصغوا إلى حقائقه فجاءت عنهم تلك الغرائب التي تدل على عدم معرفتهم بماهيَّة الإسلام[١٧٦][١٧٧]، فجمعوا بين أمرين صَدَّاهم عن الحق:

---

(١٧٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٦/ ٣٤٥)؛ التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، الكتاني، تحقيق: الخالدي، دار الأرقم – بيروت، الطبعة: الثانية، (١/ ١٧٦).

(١٧٤) يوحنا الدمشقي أحد النصارى المشهورين، يلقب بدفاق الذهب لفصاحة لسانه، ولد سنة ستمائة وخمس وخمسين، وتوفي سنة سبعمائة وتسع وأربعين، انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، مرجع سابق، (٧١/٢).

(١٧٥) تضاربت آراء المستشرقين حول هذا الرجل، وخلطوا فيه خلطًا كبيرًا، والصواب فيه أن اسمه: ثاذوروس أبو قرة أسقف حران، وكان من تلاميذ يوحنا الدمشقي، وبه تأثر، وانتحل مذهبه، عاش في سوريا وفلسطين، وكانت له صولات وجولات مع بني جنسه وغيرهم، وأكثر مناظراته مع اليعاقبة والنساطرة، والمسلمين، ولد سنة سبعمائة وأربعين، وتوفي سنة ثمانمائة وعشرين.

See: History of Christian Arabic Literature (Geschichte Der Christlichen Arabischen Literatur , Georg Graf’s, Città del Vaticano, 1947, (P: 7-25); Lettre du R.P. Constantin Bacha sur un nouveau manuscrit carchouni de la Chronique de Michel le Syrien at sur Théodore Abou-Kurra, Nau, F, Journal:Revue de l'Orient chrétien, Volume:11, 1906, (P: 102-104); Compte rendu des éditions du P. Bacha, in Théologische Revue, H. Goussen, 1906, (P: 148-150); Some umpublished Arabic Sayings attributed to Theodore AbuQurrah, in le Muséan, 1979, (P: 29-35); The Biography of Theodore Abū Qurrah Revisited, John C. Lamoreaux, Published By: Dumbarton Oaks, Trustees for Harvard University ,2002, Vol. 56, (P: 25-40); Theodore Abuqurra, La personne et son milieu, by Ignace Dick, (P: 209-223).

(١٧٦) الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة، أنجيليكي غريغوري زياكا، مجلة التسامح العمانية، العدد: ٢٩، (ص:٤).

(١٧٧) الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي، (ص:٣٩)؛ الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الأمر الأول: استعمال العاطفة في المقارنة بين الأديان، وعدم إعمال العقل في المقارنة، وهذا يحجب الإنسان عن تمييز الحق عن الباطل، قال علي الطبري -وهو أحد النصارى المهتدين-: "فإنَّ من شأن كل ذي دين أن يفضِّل دينه بحبٍّ على دين غيره، ولا سبيل إلى معرفة الأفضل مـــن الأرذل إلا بالاختبار، ولا يكون الاختبار إلا بالعقل، ... ومـــن لم يستعمـــل العقل جَهِلَ، ومَن جَهِلَ فقد ضلَّ، ومَن ضلَّ فقد كفر"(١٧٨).

الأمر الثاني: أن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوُّره، فيتعيَّن التصوُّر العلمي الدقيق عن الشيء الذي يتعيَّن بيانُ حكمه من حيث القبول أو الرد، وصدق الله إذ يقول تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [يونس: ٣٩]، فلمَّا انتفى هذا الأمر عند النصارى وقعوا في ذلك كله.

وقد كانت هذه المناظرات تدور حول قضايا عدة(١٧٩)، ومن أهمها:

القضية الأولى: طبيعة المسيح(١٨٠):

تحدَّث النصارى عن وجود المسيح في القرآن، والمصادر التي استقاها الإسلام عن المسيح عليه الصلاة والسلام(١٨١)، وفي هذا يقول يوحنا الدمشقي: "إنهم يدعوننا مشركين لأننا -كما يقولون- نُشيع إلى جانب الله شريكًا له، عندما نقول بأن المسيح هو ابن الله، وأنه الله.

فنقول نحن لهم: هذا ما نقله إلينا الأنبياء، والكتاب المقدس، وأنتم أيضًا تقبلون بالأنبياء كما تجـزمون، وإذا ما قلنا نحـــن خطأً بأن المسيح هو ابن الله، فهم مَن علَّمونا ذلك،

الحوار والمناظرة، أنجيليكي غريغوري زياكا، مجلة التسامح العمانية، العدد: ٢٩، (ص:٤).

(١٧٨) الرد على أصناف النصارى، مرجع سابق، (ص:٤٣).

(179)See: Manuel II. Palaiologos Muslim, Kementerte griechisch deutsche Textasate vas, Karl Förstel, Paris, 1966,(P : 138-213) ;The early Christian-Muslim dialogue : a collection of documents from the first three Islamic centuries (632-900 a.D.) : translations with commentary, N. A. Newman, Interdisciplinary Biblical ResearchInstitute, Hatfield, Pennsylvania, 1993,(P : 144-152).

(180)Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfī-, op. cit,(P : 124).

(١٨١) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير، (ص:٤١-٤٢)؛ الهرطقة المائة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٤٩-٥٠).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ومـــن نقلوه إلينا.

ويقول بعضهم بأننا أضفنا ذلك على الأنبياء في تفسيرنا لأقوالهم بطريقة رمزية، وآخرون بأن العبرانيين أغوونا عن حقدٍ منهم في إسناد هذه النصوص إلى الأنبياء بغية تضليلنا.

فنقول لهم من جديد: أنتم القائلون بأن المسيح هو كلمة الله وروحه، لِمَ تُهينوننا كمشركين؟

فالكلمة والروح هما غير منفصلين عمَّن يكونان فيه بالطبيعة، وإذا ما كان المسيح في الله من ثم على أنه كلمة الله، فيكون هو أيضًا الله بالتأكيد. أما إذا كان خارج الله فيكون الله بدون كلمة، وبدون روح حسب رأيكم، وهكذا تشوِّهون الله في تحاشيكم إشراك أحدٍ بالله، وكان الأحرى بكم فعلًا أن تقولوا بأن له شريكًا من أن تشوِّهوه جاعلين إياه شبيهًا بحجرٍ أو خشبٍ أو شيءٍ ما من الجوامد الفاقدة الحِسَّ، ولأجل ذلك أنتم تنطقون بالأكاذيب عندما تدعوننا مشركين، ونحن ندعوكم بالمقابل مشوِّهي الله"[١٨٢].

وهذا الكلام ينتظم في الاستدلال بصحة النصرانية التي طوَّرها النصارى طيلة سبعة قرون بما جاء في القرآن، وهو أمر غير معقول ولا مقبول، إذْ كيف يشهد القرآن بصحة ما هم عليه ثم يحكم بكفرهم للفعل ذاته، ولكن كُتَّاب النصارى منذ القدم يحاولون التمسك بهذه الحجة، ويظنون أنها تقطع المكالمة مع الخصم، وتُلزمه الحجة، فيدندنون بهذا المعنى ولكن بطرقٍ شتى وأساليب مختلفة[١٨٣]، ويكتفون بقول القائل:

"When we advance one part of the Qurʾān in argument، we are not bound by the rest of it"[184].

ومثل هذه الكلمات التي يظن قائلها أنها قضايا وجوبية تُلزم المسلمين.

ثم إن ما يذكرونه غير صحيح، فالاستدلال بكونه روح من الله أنه من ذات الله[١٨٥]

---

(١٨٢) الهرطقة المائة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٥٣-٥٤).

(183) See: An Arabic account of Theodore Abu Qurra in debate at the court of caliph al-Ma'mun : study in early Christian and Muslim literary dialogues, David Bertaina, PhD diss, Catholic University of America, 2007 ,(P : 397); The Melkites and the Muslims: The Qur'ān, Christology, and Arab Orthodoxy, Sidney H. Griffith, February 2013Al-Qanṭara 33,(P : 413-443).

(184) Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfī-, op. cit,(P : 123).

(185) See: John of Damascus on Islam: The Heresy of the Ishmaelites,

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

مردودٌ، وذلك أن الإضافة إلى الله إضافة تشريف، لا إضافة بعضية وجزئية كما تقول النصارى، وقد يكون أُضِيفَ إلى الله لكونِ النفخِ سببًا في وجود الروح كما قال ﷻ عن آدم عليه الصلاة والسلام: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [الحجر: ٢٩]، فهل ستقول النصارى في آدم ما تقوله في المسيح؟

ومـــن المناظرات حـــول طبيعة المسيـــح في القرن الثامـن، واستـــدلال النصارى بهذه الشبهـــة ما جاء من أحد النصارى مع أحد خلفاء المسلمين، حيث قال النصراني: في كتابكم القرآن حجة على ما أنتحله من دين النصارى، وهو قوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ [النساء: ١٧١] ، فهذا نصٌّ في أن المسيح جزءٌ من الله، فدعا الخليفةُ أهلَ العلم، فأجاب على النصراني أحدُهم وقال: إن الله ﷻ يقول: وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [الجاثية: ١٣]، فإن كان قوله: ژ ڤ ڤـڤ ژ يوجب أن عيسى بعضٌ منه، وجب أن يكون ما في السماوات وما في الأرض بعضًا منه؛ فانقطع النصراني، وأسلم[١٨٦].

وقال الكندي[١٨٧]: "ألَا تعلم أن الواحد لا يُقال له واحدًا إلَّا على ثلاثة أوجهٍ: إمَّا في الجنس، وإمَّا في النوع، وإمَّا في العدد. ولستُ أرى أحدًا يدَّعي غير هذا، أو يقدر أن يجد غير هذه الأوجه الثلاثة.

Daniel J. Sahas, Leiden: Brill, 1972, (P : 132-133).

(١٨٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق: عدد من الباحثين، أصل التحقيق: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، (١١/ ٩٧- ٩٨).

(١٨٧) عبد المسيح بن إسحاق الكندي، عاش في زمن المأمون، وكتب كتابات عدة، دافع فيها عن النصرانية، وحطَّ من الديانات الأخرى، ولا يُعرف له أكثر من هذا، وقد أنكر ما نُسب إليه من كتابات غير واحد من النصارى لجهالة شخص الكاتب.

See: Freethinkers of medieval Islam : Ibn al-Rawāndī, Abū Bakr al-Rāzī and their impact on Islamic thought, by Stroumsa, Sarah, Publisher Leiden ; Boston : Brill, 1999, (P :193) ; Anthology of Arabic Discourse on Translation-The Letter of 'Abdullah al-Hashimi to 'Abd al-Masih al-Kindi, Inviting him to Islam, and al-Kindi's Response, Inviting al-Hashimi to Christianity (ninth–eleventh centuries), By'Abdullah al-Haşhimi, 'Abd al-Masiḫ al-Kindi, ImprintRoutledge, Edition1st Edition, 2021, (P :61).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فعلى أيِّ وجهٍ تصف الله - جلَّ وعزَّ- واحدًا من هذه الوجوه التي ذكرتها لك، أفي الجنس، أم في النوع، أم في العدد؟

فإن قلتَ: إنَّه واحدٌ في الجنس صار واحدًا عامًّا لأنواعٍ شتى؛ لأن حكم الواحد في الجنس هو الذي يضمُّ أنواعًا كثيرة مختلفة، وذلك مما لا يجوز في الله.

وإن قلتَ: إنه واحدٌ في النوع، صار ذلك نوعًا عامًّا لأقانيم شتى، لأن حكم النوع يضم أقانيم كثيرة في العدد.

وإن قلتَ: إنَّه واحدٌ في العدد، كان ذلك نقضًا لكلامك أنَّه واحدٌ فردٌ صمدٌ، لأنَّه لو سألك سائلٌ عن نفسك: كم أنتَ؟ لا تقدر أن تجيبه أنك واحدٌ فردٌ. فكيف يقبل عقلُكَ هذه الصفة التي لا تُفَضِّلُ إلهك عن سائر خلقه؟

ولَيْتَكَ -مع وصفك إيَّاه بالعدد- كنتَ وصفتَهُ أيضًا بالتبعيض والنقصان.

أتَراكَ لا تَعلم، أنتَ الرجل الذي فَتَّشْتَ الكتب وقرأتها، وناظرتَ أهل الملل المختلفة، وفهمتَ اعتقاداتهم، أنَّ الواحد الفرد بعضُ العدد، لأنَّ كمال العدد ما عَمَّ جميع أنواع العدد، فالواحدُ بعضُ العدد.

وهذا نقضٌ لكلامك"[188].

والجواب عن هذا -الذي ذكره- من وجوه كثيرة، سأكتفي بوجهين ذكرهما من كان نصرانيًّا فأسلم، وإلا فالأجوبة عنه كثيرة[189]:

أولًا: لم يُجِبْ عن الإشكالات التي وُجِّهت إليه في مسألة التثليث عندهم، وحاد عنها إلى هذه التقسيمات التي رأى أنها مُلزمة لخصمه ودافعة عنه استشكالاته حول التثليث وليس كذلك، بل يعاد ويقال: إن كان هؤلاء الثلاثة: الآب والابن وروح القدس متساوين في العلم والقدرة والحكمة، فإن ما زاد عن الواحد غير محتاج إليه في المخلوقات، فكيف بالآلهة، وإن كانوا متفاضلين، فالمفضول فيه نقصٌ، والناقص لا يجوز أن يكون إلهًا[190].

ثانيًا: مخالفة هذا التثليث لنصوص الكتاب المقدس، ولا يمكن دخولها تحت الحصر والعدِّ لكثرتها، ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج: " أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي

(188) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير،(ص:٤١-٤٢).

(189) كتب أبو الثناء الألوسي كتابًا في الرد عليها بعنوان: «الجواب الفسيح، لما لفقه عبد المسيح»، والكتاب مطبوع، ونشرته أكثر من دار للنشر.

(190) النصيحة الإيمانية في الإيمان فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى بن عيسى، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، مطبعة دار التأليف، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م، (ص:٦٣-٦٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الْمَـاءِ مِـنْ تَحْـتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْـجُدْ لَهُـنَّ وَلاَ تَعْبُـدْهُنَّ، لأَنِّـي أَنَـا الـرَّبَّ إِلهَـكَ إِلـهٌ غَيُورٌ"(١٩١)، فمَن كفر بهذا الكلام، وردَّه جملةً وتفصيلًا، وجعل مع الله آلهة أخرى، مع ورود النهي عنه، وقد افتتح مَتَّى إنجيله بقوله: " كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ"(١٩٢)، فهذا إقرار بأن يسوع حادثٌ، والحادث متولِّد، والله ﷻ مُحدِثُ كلِّ حادثٍ.

وقد سبق من كلام يسوع ما يدل على عبادته لربِّه، وأنه لا يتصرَّف من تلقاءِ نفسه بل تبعٌ لمراد مَن أرسله، فإن قالوا: لكن المسيح قد بيَّن في مواضع أخرى بأنه خالقٌ أزليٌّ؟

قلنا: هذا تناقض، فكيف يُثبت أنه خالقٌ مَرَّةً، وأنه مخلوقٌ، وكيف يستقيم أن يخبر بأنه يتحرَّك ضِمن إرادة غيره، ثم يكون هذا الغير هو ذات المسيح، فهل صدق المسيح في كونه مربوبًا أم في كونه ربًّا، وهل صدق في كونه خالقًا أم في كونه مخلوقًا، وهل صدق في كونه مرسِلًا أم في كونه مرسَلًا فإن قالوا: صدق في بعضٍ دون بعض، فقد كفروا به، وإن قالوا كان محقًّا في بعضٍ دون بعض فالحكمُ نفسه(١٩٣).

القضية الثانية: عبادة الأوثان عند النصارى:

جاء الإسلام، وحرَّم التماثيل، ولكن النصارى جعلوا من الحجارة والأشجار والثياب والأخشاب تماثيل يقدِّسونها ويتقرَّبون إليها بشتَّى أنواع القربات، ويمارسون معها طقوسًا عجيبة(١٩٤)، وسيأتي الحديث عن اختلافهم فيما بينهم عن هذه الأمور، إلا أنهم فوجئوا في بداية اصطدامهم بالمسلمين بتحريم المسلمين لهذه الأوثان، فبدأوا يبتكرون طريقة لإقناع المسلمين بصحة نظريتهم تجاه هذه الأوثان، والاحتجاج لها، فيقول يوحنا الدمشقي: "ويتهموننا أيضًا بعبادة الأوثان لأننا نسجد أمام الصليب الذي يستفظعونه. فنقول لهم عندئذٍ: لماذا إذا تحتكُّون بحَجَرٍ كعبتِكم هذا، وتحبُّون الحَجَرَ حتى معانقته"؟

فيقول بعضهم: إن إبراهيم قد جامع هاجر عليه، وآخرون: إنه قد ربط الناقة به عند تضحيته بإسحاق"(١٩٥).

وهذا الكلام مرفوض، فمساواة الأحجار والقماش والأخشاب وما يُفعل معها من سجود

---

(١٩١) سفر الخروج (٢/٢٠-٥).
(١٩٢) إنجيل متى (١/١).
(١٩٣) الرد على أصناف النصارى، علي بن ربن الطبري، مرجع سابق، (ص:٥٠-٥١).
(١٩٤) النصيحة الإيمانية في الإيمان فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى بن عيسى، مرجع سابق، (ص:٧٤-٧٥).
(١٩٥) الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٥٤-٥٥).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

لها، ومن ممارسة تلك الطقوس، وكل كنيسة تتخذ لها حجرًا معيَّنًا، وكل راهب يتخذ لها خشبًا معينًا، مع أنهم يعترفون بأنه لا وجود لدليل يدل على فعلهم ذلك، ومن أجل هذا حصل بينهم ما حصل كما سيأتي إيضاحه، وأما ما ذكره عن إبراهيم وهاجر فمن مخيّلته، ولم يذكره أحدٌ من المسلمين.

وقال الكندي: "والصليب ممثِّل هذه النعمة نُصْب أعيننا، يحثُّنا على شكر المنعم بها، وإليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا إلى الخشب وغيره مما تُصنع منه الصُّلبان. ولو كنَّا نعظِّم الخشب كما توهَّمْتَ لما اتخذنا الصليب من غيره، ولكننا نتخذه من الخشب والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها، ونخطُّه خطًّا، ونرسمه بإيماننا، وذلك دليل على أننا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التي تُتَّخذ منها الصُّلبان، بل من هو ممثَّلٌ بالصليب"(196).

فالتعظيم عندهم لا لذات الحَجَر، وإنما للمعنى الذي حصل على ذلك الحَجَر، وهو الفداء، وهنا لقائلٍ أن يقول: إن كان للمعنى الذي حصل على الحَجَر وهو الفداء، فإن الفداء وقع من عيسى بأحد أمرين: إما أنه وقع بإرادة من عيسى أو بغير إرادته.

فإن كان بإرادته، فلماذا البكاء والعويل على شيء سأله وناله؟

وإن كان بغير إرادته كما يظهر في لوقا أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال: "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ"(197)، وفي مَتَّى: " نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"(198)، فكيف يوصف بالألوهية من تمكَّن منه أعداؤه وقتلوه وصلبوه كما تقول النصارى، وهل يمكن أن يكون الإله مغلوبًا من أعدائه؟، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، وصدق الله: وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [يوسف: ٢١].

القضية الثالثة: إنكار نبوَّة النبي ﷺ:

شكَّلت دعوة النبي ﷺ حدثًا مهمًّا في تأريخ الكنيسة، إذ وجدوا دعوة لا يستطيعون أن يفرضوا عليها شيئًا مما كانوا يتمتعون به ضدَّ مخالفيهم، فحاولوا وأدَ دعوته عسكريًّا وفكريًّا فلم ينجحوا، وحينئذٍ لجؤوا إلى الجدال مع المسلمين مباشرةً، وتدوين تلك المناظرات التي كانت تجري بينهم وبين المسلمين، وسعوا إلى تطوير

---

(196) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير،(ص:١٠٣).

(197) إنجيل لوقا (٤٢/٢٢).

(198) إنجيل متى (٢٧/ ٤٦)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أساليبهم في المناظرات التي كانت تتسم باللعن وفرض الرأي بالقوة، وإلزام المخالف بالرجوع من خلال الضغط عليه بالحرمان من منصبه إذا استمر على رأيه الذي يخالف فيه ما تقرُّه الكنيسة من تعاليم.

لقد طـوَّر النصارى لغتهم مع المخالف الجديد؛ لكونها لا تجدي نفعًا مع المسلمين مطلقًا، فالمسلمون يتمتعون بدين يدخل الناس فيه أفواجًا لموافقته فِطَرَهم، وعقولَهم، وذلك أنهم يدَّعون التمسك بقول المسيح: " أَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ"(١٩٩).

ولكنهم يتناسون هذه الكلمات مع أبناء قومهم ومِلَّتهم، ويحاولون التمسك بها مع غيرهم متى ما كان الضعف مصاحبًا وملازمًا لهم، فإذا لاحت لهم القوة من أيِّ مكان رجعوا إلى القسوة التي لا يستطيعون التعامل بغيرها، ولهذا تظهر عليهم في مواطن كقول الكندي: "ولا يختفي على متدبِّره ومتعقِّبه أنه كلام سُرق من موضعين مختلفين، أعني: التوراة والإنجيل. وإن أقررتَ كلَّ واحدٍ من هذين الحَكَمين وادَّعيته، فلا يدعك أصحابُهما، لأنهم ورثوه فصار في أيديهم حقًّا مسلَّمًا لهم، ويقولون لك إنك متعدٍّ ظالم تروم أخذ إرثنا من أيدينا، مع إقراركَ أنتَ أنَّه لنا. فإن حاولتَ أَخْذَهُ فأنت غاصبٌ لا حقَّ لك، بل آتِنا أنت بما في يدك وعندك مما ليس في أيدينا ولا عندنا، لنعلم أنك صادق في ادعائك"(٢٠٠).

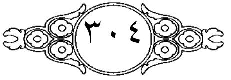
فيرى أن الحديث عن شريعة من كان قبلنا سرقة، مع أن الآية كانت تتحدث عن التوراة وليس الإنجيل، بينما قول عيسى عليه الصلاة والسلام: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ"(٢٠١)، فهذا الذي ذكر بأنه متبع لكل شيء لم يقع عليه الوصف الذي ذكره لغير عيسى، بينما مَن ذكره على سبيل الحكاية لا على سبيل الإقرار أو الإنكار أنزل عليه ذلك الوصف، ازدواجية غريبة.

---

(١٩٩) إنجيل متى (٥ :٤٥-٤٦).

(٢٠٠) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير،(ص:٤١-٤٢).

(٢٠١) إنجيل متى (١٧/٧-١٩).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فتنوعت أقوالهم وأفكارهم التي لم تتسم بالدقة، بل كانت مجرد تسويد صفحات، وتكثير كلمات، وغالبها يصدق القول عليها بأنها خبط عشواء وسير في ظلماء، ومن ذلك قول يوحنا الدمشقي: " وبعد أن تسلَّل للنوايا الطَّيِّبة للناس، بإظهاره تقوى مزعومة، قام بادِّعاء أنَّ كتابًا معيَّنًا أُرسلَ إليه من السماء وحيًا من الله. وفي إنشائه لبعض المعتقدات المثيرة للضحك في كتابه، والتي لا تستحقُّ سوى السخرية"(٢٠٢)، فليت شعري أيُّ العقيدتين أحقُّ بالسخرية، عقيدة واضحة ومفهومة توافق الفِطَر السليمة وتقبلها العقول المستقيمة، وكيف توصَّل إلى القول بأن العقيدة الإسلامية تستحقُّ السخرية وهو الفقير فيها، صاحب البضاعة المزجاة، ولا أَدَلَّ على ذلك من المواطن الكثيرة التي يذكرها عن الإسلام وأهله، ولا تمتُّ إلى الإسلام بأيِّ صلة(٢٠٣).

ومن هذا قولُ الكندي: "إلى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوُّجه إياها، للسبب الذي تعرفه. فلمَّا قوَّته بمالها نازعته نفسه إلى أن يدَّعي الملك والترؤُّس على عشيرته وأهل بلده، فلم يتبعه عليه إلَّا قليلٌ من الناس. فعندما يئِسَ مما سوَّلت له نفسه ادَّعى النبوَّة، وأنه رسولٌ مبعوثٌ من ربِّ العالمين، فدخل عليهم من باب لطيف لا يعرفون عاقبته ما هي، ولا يفهمون كيف امتحان مثله، ولا ما يعود عليهم من ضرر منه، وإنما هم قوم عرب أصحاب بدو لم يفهموا شروط الرسالة، ولم يعرفوا علامات النبوَّة، لأنه لم يُبْعَث فيهم نبيٌّ قَطُّ"(٢٠٤).

والجواب عن هذا كله، بأن النصارى انقسموا قسمين، فكثير منهم بادر إلى الدخول في الإسلام، فإن كان العرب لا يميزون النبوَّة وعلاماتها لكونهم لم يُبعث إليهم نبيٌّ قَطُّ، فماذا عن النصارى الذين دخلوا في دين الإسلام أفواجًا؟

وما هي علامات النبوَّة التي تجب معرفتها، فهذا أبو قرَّة يقول: "إن قصدنا في كتابنا هذا أن نثبت ديننا من العقل وليس من الكتب، ونقول: إنه من قِبل تثبيت العقل لم يكن عندنا موسى مقبولًا أنه من عند الله، ولا ما جاء به غيره، وذلك لما أتوا به من النقصان والخلاف بما علَّمتنا طبيعتنا، فلسنا نقبل من وجه العقل دينًا من عند الله إلا الإنجيل وحده، لما ذكرنا من التمام والصواب الذي أتى به.

فأما من وجهٍ آخر، فإننا نقبل موسى والأنبياء وحدهم أنهم من الله، وذلك حيث عرفنا أن الإنجيل من عند الله، وقبلناه، وصدَّقنا جميع ما فيه، أخبرنا الإنجيل أن موسى والأنبياء المسمَّين في العتيقة، مِنَ اللهِ بُعثوا، فصدَّقناهم وقبلناهم"(٢٠٥).

---

(٢٠٢) الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي، (ص:٥١-٥٢).
(٢٠٣) الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي (ص:٤٥).
(٢٠٤) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير، (ص:٥٠).
(٢٠٥) ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ثاوذورس أبو قرَّة، تحقيق: اغناطيوس ديك،

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

إن الناظر إلى هذا الكلام لا يحتاج فيه سوى غدوة أو روحة فإذا به يجعله أحاديث، ويمزّقه كلَّ ممزَّق، وذلك من وجوه عدة أقتصر على ما يأتي:

جعل أبو قرَّة علامات النبوَّة لدى موسى غير كافية للتصديق بنبوَّته وأناطها بإنجيل عيسى عليه الصلاة والسلام، وهذا غريب، إذ كيف يتوقف التصديق بالموجود على شهادة المعدوم، وهل كان ثمَّة إنجيل في عهد موسى عليه الصلاة والسلام.

وإن وقع هذا على نبوَّة موسى فلماذا لا تقع على نبوَّة عيسى، فتفتقر صحتها على شهادة الرسالة التي تتلوها، وهكذا حتى ندخل في التسلسل.

وإن كانت المعجزات التي وقعت من عيسى جعلت غيره يصدِّق بنبوَّته، فلماذا لا تكون معجزات غيره أيضًا شاهدة بنفسها على نبوَّة النبي الذي جاء بها.

أما إن كانت المسألة منوطة بالتحكم، فالتحكم لا يعجز عنه أحد.

والحاصل: أن قول من قال بأن العرب لم يعرفوا علامات النبوَّة حتى يعرفوا صدق دعوة النبي ﷺ غير صحيح، وغير مطَّرد عندهم.

وقد كان هناك إقبالٌ على الإسلام وتعاليمه والانبهار بعقيدته وشريعته، وهذا ما يعبِّر عنه أحد النصارى في القرن التاسع فيقول: "إن المسيحيين يحبُّون قراءة قصائد العرب ورواياتهم، ويدرسون علماء الدين والفلاسفة العرب، لا بقصد مجادلتهم، وإنما لاكتساب لغة عربية صحيحة ورشيقة. وأين هو الشخص العادي الذي يقرأ دراسات الكتاب المقدس باللاتينية، أو يدرس سير الأنبياء والقديسين؟ يا للخسارة، إن جميع الشباب المسيحيين الموهوبين يقرؤون الكتب العربية ويدرسونها بحماس، يجمعون مكتبات هائلة بتكلفة ضخمة، ويحتقرون الآداب المسيحية كونها غير جديرة بالاهتمام. لقد نسوا لغتهم هم...، حتى إنه مقابل كل من يستطيع كتابة خطاب باللاتينية لصديق، يوجد ألف يستطيعون التعبير عن أنفسهم بلغة عربية أنيقة"[٢٠٦].

ثم ماذا عن القول باتفاق الرسالتين في قضايا عدة، فهل هذا العداء للإسلام وأهله لأنهم لم يقولوا بتعدُّد الآلهة كما تقول النصارى، وهل هذا النفي للتعدُّد مقصور على دين الإسلام؟ أم أن جميع الديانات السماوية تحاربه، بما في ذلك النصارى الذين تعجَّبوا من القول به عند ظهوره في القرن الرابع، ولكن كلام لا يعي صاحبه ما يخرج من رأسه.

وإضافةً إلى ذلك، فإن الجهل الذي كان يعتريهم كما بَيَّنَّا، وعدم فهم الإسلام من

المكتبة البولسية، لبنان، ١٩٨٢م، (ص:١٤٣).

(٢٠٦) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، مرجع سابق، (ص:٥٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

مصادره جعلهم يقعون في هذه المزالق كلها، ولهذا كانوا يقولون كلامًا لا يعرف الإنسان من أين مصدره وكيف استقى ذلك، ولا أَدَلَّ على ذلك من قول يوحنا الدمشقي: " توجد أيضًا السورة التي تتحدَّث عن ناقة الله. فبشأنها يقول إن ناقة أرسلها الله وإنها شربت النهر كله فلم تستطع من ثم العبور في ما بين جبلَيْنِ لانعدام المسافة الكافية لذلك. وكان ثمَّة قوم في ذاك الموقع كما يقول: وفي أحد الأيام شرب هو من الماء ثم تبعته الناقة. وعندما شربت الماء صارت تغذِّيهم باللبن بدلًا من الماء، أما هؤلاء الرجال فكانوا خبثاء في رأيه إذ قاموا وقتلوا الناقة. والحال أن كان لديها ناقة صغيرة صرخت إلى الله بعد موت والدتها بحسب زعمه والله أخذها إلى جواره"(٢٠٧).

وهذا الكلام غير مذكور في أي آية من آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن قصة صالح عليه السلام مع قومه، إلخ ما قصَّه الله في القرآن عنه وعن قومه، ولخَّص أحدُ كُتَّاب النصارى سببَ الخلافِ قائلًا:

"of Islam’s superiority over other confessions and religions،” namely، that Muslims honor all of God’s envoys. Thus، even if Christian claims about Jesus were true، the Muslims would still be in a better position، since at least they speak approvingly of him، whereas the Christians accuse Muhammad of lying and debauchery، and of shedding blood without God’s permission"(208).

المطلب الرابع: نيل الدرجات الكهنوتية بالمال(السيمونية)

لما كانت المسؤولية الملقاة على الكهنة كبيرة في نظر النصارى، فهو يتحمَّل قيادة الكنيسة، ويصبر على الأذى الذي قد يأتيه من الداخل أو الخارج، ومن ثم فقد وضع بولس شروطًا كثيرة لنيل درجة الكهنوت، بحيث يكون صالحًا لتعليم العقيدة النصرانية البوليسية، مبتعدًا عن المجاهرة بالكبائر أو الإدمان لفعلها، كثير الحلم والصفح، فلا يذهب إلى عقوبة منحرف إلا بعد التنبيه والتقويم وفهم سبب المخالفة.

إضافةً إلى تلكم الشروط: يتعيَّن عليه أن يكون زاهدًا في الأموال التي تأتي إلى الكنيسة أو الأموال التي تأتي من الناس عند ممارسة كهنوتيته، فيكون المال الذي يكتسبه وسيلة له لخدمة الناس، وإعالة المحتاجين، ولا يهتم بوجوده أو عدمه، وهذا الشرط المتعلق بالمال لكونه أصل كل الشرور، فكيف يليق بالأسقف أن يتملك قلبَهُ

(٢٠٧) الهرطقة المائة، يوحنا الدمشقي، (ص:٥٧-٥٨).

(208)Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfī-, op. cit,(P : 124).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

حبُّ المال والسعي وراءه، فيقتدي به الناس في الشر، فيخالف بذلك الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه وهو الاقتداء به في الخير، يقول بولس: " إِنِ ابْتَغَى أَحَدٌ الأُسْقُفِيَّةَ، فَيَشْتَهِي عَمَلًا صَالِحًا. فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ، بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، صَاحِيًا، عَاقِلًا، مُحْتَشِمًا، مُضِيفًا لِلْغُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، غَيْرَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ، وَلاَ ضَرَّابٍ، وَلاَ طَامِعٍ بِالرِّبْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ حَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلاَ مُحِبٍّ لِلْمَالِ، يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا، لَهُ أَوْلاَدٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ. وَإِنَّمَا، إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللهِ؟ غَيْرَ حَدِيثِ الإِيمَانِ لِئَلاَّ يَتَصَلَّفَ فَيَسْقُطَ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ. وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ فِي تَعْيِيرٍ وَفَخِّ إِبْلِيسَ... وَلاَ طَامِعِينَ بِالرِّبْحِ الْقَبِيحِ"(٢٠٩).

ولكن هذا الأمر مع مرور الزمن وتطاول العمر، وتدفق الأموال الطائلة إلى الكنيسة، والثراء الذي أصبح ظاهرًا لكل أحد من الكهَّان جعل الناس يتنافسون على نيل درجة الكهنوت ابتغاء الدنيا والعيش في ظل النعمة الوارفة التي يعيشها الكهَّان، وتبديلهم لأيِّ شيء لقاء لعاعة من الدنيا وحطامها، دفع كثير من الناس إلى التطلع للعيش الوارف الذي عليه الكهَّان(٢١٠).

وكعادتهم في التبديل لكل شيء، وطمس معالم دينهم لقاء مصلحة دنيوية على حد قول بعضهم(٢١١): Christian Rules Violate Jesus' Lessons ، فظهر بعد ذلك ما اصطلح عليه المترجمون بقولهم:((السيمونية))(٢١٢)، وهي دفع الأموال الطائلة لنيل الدرجة الكهنوتية، ويُنسب هذا الاصطلاح إلى سيمون وهو اسم عبراني معناه: السامع(٢١٣)، وقد وردت قصته في أعمال الرسل، "وَكَانَ قَبْلًا فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ، يَسْتَعْمِلُ السِّحْرَ وَيُدْهِشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ، قَائِلًا إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ!. وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتْبَعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: هذَا هُوَ قُوَّةُ اللهِ الْعَظِيمَةُ. وَكَانُوا يَتْبَعُونَهُ

---

(٢٠٩) رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس (٣/١-٨).

(210) See: Der Ostgotenkönig Theoderich Der Grosse Und Die Katholische Kirche, by Georg Pfeilschifter, Munster,1896,(P : 172-173); The Book of Memory: A Study of Memory in Medieval Culture (Cambridge Studies in Medieval Literature, Series Number 70), by Mary Carruthers Cambridge University Press, New York, 1990,(P : 190-191).

(211) Christian Controversies: Seeking the Truth, Scott S. Haraburda, Spencer, Indiana, 2013,(P : 37).

(٢١٢) قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، مرجع سابق، (ص:٣٩).

(٢١٣) قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، مرجع سابق، (ص:٣٩).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

لِكَوْنِهِمْ قَدِ انْدَهَشُوا زَمَانًا طَوِيلًا بِسِحْرِهِ. وَلكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رِجَالًا وَنِسَاءً. وَسِيمُونُ أَيْضًا نَفْسُهُ آمَنَ. وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلاَزِمُ فِيلُبُّسَ، وَإِذْ رَأَى آيَاتٍ وَقُوَّاتٍ عَظِيمَةً تُجْرَى انْدَهَشَ. وَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَدْ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا اللَّذَيْنِ لَمَّا نَزَلاَ صَلَّيَا لأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ - غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَمِدِينَ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. حِينَئِذٍ وَضَعَا الأَيَادِيَ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. وَلَمَّا رَأَى سِيمُونُ أَنَّهُ بِوَضْعِ أَيْدِي الرُّسُلِ يُعْطَى الرُّوحُ الْقُدُسُ قَدَّمَ لَهُمَا دَرَاهِمَ. قَائِلًا: أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ. فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ لأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِيَ مَوْهِبَةَ اللهِ بِدَرَاهِمَ. لَيْسَ لَكَ نَصِيبٌ وَلاَ قُرْعَةٌ فِي هَذَا الأَمْرِ لأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ اللهِ. فَتُبْ مِنْ شَرِّكَ هَذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ. لأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْمُرِّ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ. فَأَجَابَ سِيمُونُ: اطْلُبَا أَنْتُمَا إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِي لِكَيْ لاَ يَأْتِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتُمَا"(٢١٤).

وقد أخذت هذه البدعة في الانتشار في القرن السادس وعصفت بالكنيسة عصفًا(٢١٥)، ومن ثم فإن القول بأن هذه البدعة نشأت في عهد انتشار الإسلام وقيام دولتهم وما فرضوه على الكنيسة من أموال(٢١٦) مرفوض من جهات عدة:

الجهة الأولى: أن هذا الأمر ينافي المصادر الأخرى التي دلَّت على وجود هذه البدعة في القرن السادس الذي لم يكن فيه للإسلام يومئذ دولة.

الجهة الثانية: أن هذه البدعة نشأت لابتغاء المال وطلبه لا لبذله والتضحية به من أجل الحفاظ على الكنيسة.

الجهة الثالثة: أن دول أوربا شهدت في أوائل القرن السادس قوانين عدة تتعلق بقضايا الاستفادة من الأموال الكنسية خشية أن يرغب الناس في الأعمال الكنسية لقاء الأموال التي تتدفق إليها، وإجبار الكهنة على ردِّ الأموال التي تمَّ أخذها من الناس لتوظيفهم في الكنيسة(٢١٧)، وألَّا يتمَّ تعيين الكهَّان إلا بإجماع من رجال الكنيسة، بحيث يمنع هذا الأمر أن ينفرد شخص ببيع الوظيفة والاستفادة من المال المدفوع مقابل التعيين(٢١٨).

---

(٢١٤) سفر أعمال الرسل (٨/ ٩-٢٤).

(٢١٥) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١٦٢/١-١٦٣).

(٢١٦) انظر: البدع والهرطقات المُعاصرة -البدعة السيمونية-، https://cutt.us/dB8u8.

(217) See: Conciliengeschichte, Karl Josef von Hefele, 2d ed,1873 (P :643-645).

(218) See: pist. Rom. Pontiff. (461-523), Andreas Thiel, Braunsberg, 1868, (1/645).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فهذه البدعة أرَّقت الكنيسة ولم تستطع وقفها لكون المال هو أكثر شيء يسعى إليه الكهَّان، والملذَّات هي التي تدفعهم لنيل درجة الكهنوت، فإذا كانت الكبائر مستساغة لهم، يرتكبونها ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، فما الذي يمنعه من بيع درجة الكهنوتية لغيره؟

نعم، ظهر من ينكرها ويسوق الأدلة لمنع إعطاء درجة الكهنوتية إذا كانت مقابل دفع الهدايا والعطايا وليست مقابل العلم والعمل، ولكن الدعوات لم تلقَ آذانا واعية، بل ظلَّ هذا العمل ينتشر ويسري ويستشري وسط رجال الكهنوت[٢١٩].

المطلب الخامس: تحليل ونقد في ظل دعوة

المسيح عليه السلام الصحيحة الأولى

مرَّ على الديانة النصرانية من القرن الأول إلى القرن السادس الميلادي حينٌ من الدهر كانت المهمة الوحيدة لديهم هي تطوير ديانتهم وتغييرها وتبديلها، فكثرت المآخذ عليهم من جرَّاء ذلك، وتعددت وتنوعت الهنات في عقيدتهم، وكان الواحد من رجالهم لا يغادر شيئًا صغيرًا ولا كبيرًا من التطوير إلا وجاء به، دون أن يتوخَّى الحذر، ودون أن يعرف أن الدين القيّم ليس مزيجًا من أفكار الرجال وآراء الناس، بل هو دين الله عز وجل الذي ارتضاه للناس، ولو عرف ذلك لكان كفيلًا بردعهِ ورَدِّهِ إلى جادَّة الصواب.

ومع هذا يمكن إجمال وجوه نقد النصرانية في هذه المرحلة فيما يأتي:

١) كان دخول بولس إلى الديانة النصرانية سببًا لتحريفها وتطويرها، وقلبها رأسًا على عقب.

٢) سارت النصارى في هذه القرون على إثر التحريف الذي وصلت إليه النصرانية عقيب رفع عيسى عليه الصلاة والسلام، وأصابهم ركود فكريّ.

٣) ظهر قولٌ جديد في طبيعة المسيح يضاف إلى الأقوال السابقة، وهي مخالِفة لطبيعة المسيح الحقيقية.

٤) اشتدَّت وطأة الخلاف في هذه القرون وظهرت قضايا عمَّقت الخلاف، ودعت إلى التشرذم والانقسام أكثر مما كانوا عليه من قبل.

٥) ظهرت دعوة جديدة هي خاتمة الرسالات فقابلها النصارى بمواقف عدة، وكانوا بين مؤيّدٍ ومتَّبع، وبين مضادٍّ ومُعَادٍ، وخائفٍ من ذهاب الناس وانفلاتهم من الديانة النصرانية إلى الديانة الحقَّة.

٦) خلافهم في الأقانيم لا يقدِّم ولا يؤخِّر لكونه مخالفًا لنصوص الكتاب المقدس، ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج: " أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ

---

(٢١٩) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١/١٦٢-١٦٣).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلَا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ"(٢٢٠).

٧) إنكار نبوَّة النبيّ ﷺ، وتحريف النصوص التي دلَّت على نبوَّته هو من جنس تحريفهم لنصوص الكتاب المقدس التي تدل على القضايا الأخرى.

٨) لم يقتصر تحريفهم للنصوص على إنكار دعوة النبي ﷺ وتوجيهها لنبوَّة عيسى عليه الصلاة والسلام مع بُعد ذلك التوجيه، بل طال تحريفهم النصوص المتعلقة بالشريعة والأحكام المتعلقة بالفقه كنصوص السجود والختان.

٩) خالفت النصارى نصوص عيسى عليه الصلاة والسلام في قضايا كثيرة ولا سِيَّما القضايا المتعلقة بالتشريع، وقد قال: " لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ"(٢٢١).

١٠) خالفت النصارى قضايا النُّذْر إلى درجة جعلتهم سُبَّةً لدى الآخرين، ولا سِيَّما القضايا المتعلقة بالعفَّة والاعتياض عنها بالسِّفَاح، وقد ضُربت بهم الأمثلة كقول العرب: "أَلْوَطُ مِنْ راهبٍ".

خاتمة:

النتائج:

-إن الدِّين ثابت، وأن التجديد لا يطاله، وإنما نسمِّيه "تجديدًا" بالنسبة للأمَّة، لا بالنسبة للدِّين الذي شرعه الله وأكمله، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرَّةً بعد مرَّةٍ على الأمَّة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ المبيِّنة له.

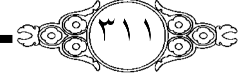
- إن أركان العقيدة النصرانية المتمثلة في عقيدة الفداء والصلب والقيامة، بعد تطورها توجت بالقول بعقيدة التثليث والتجسد الذي حملت لواءه الفرق الثلاثة التاريخية الكنسية وهي: فرقة الملكانية والنسطورية واليعقوبية، وأعطت هذه الفرق صورا للتجسد الأقنومي ومدعمة لمبررات الاعتقاد في التجسد والتثليث بغرض الإقناع والمجادلة، فحاولت هذه الفرق بشتى الطرق تقريب القول بالتثليث وتأليه المسيح وروح القدس، غير أنّ الأدلة النقلية والعقلية نفت ذلك.

- يتأكد أن النصرانية المتطورة خلال تلك القرون التي أخذتها بالدراسة إلى يومنا هذا هي نصرانية بولس الذي اختلق فيها كل التراكمات الموجودة حاليا ولا تمد بصلة إلى

---

(٢٢٠) سفر الخروج(٢٠/٢-٥).

(٢٢١) إنجيل متى (٥/ ١٧).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

رسالة التوحيد الذي جاء بها المسيح عيسى عليه السلام.

التوصيات:

- أوصي في النهاية كل طالب علم في هذا التخصص وكل باحث في هذا المجال أن يأخذ بعين الاعتبار هذه المحطات التي أخذتها بالدراسة لأنها تعد نقطة الارتكاز في البحث في الديانة النصرانية.
- أوصي بإعادة البحث في هذا الموضوع لكن من جوانب أخرى كما يأتي:
  - تطور الطقوس النصرانية خلال القرون الميلادية الأولى.
  - تطور التعاليم النصرانية خلال القرون الميلادية الأولى.
  - تطور الكنائس النصرانية خلال القرون الميلادية الأولى.
  - تأثر النصرانية بالديانات الأخرى خلال القرون الميلادية الأولى.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المصادر والمراجع

الكتب العربية:

١. الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.
٢. الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ.
٣. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة.
٤. الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة، أنجيليكي غريغوري زياكا، مجلة التسامح العمانية، العدد: ٢٩، (ص:٤).
٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
٦. التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، التفتازاني، ومعه: التوضيح، لصدر الشريعة المحبوبي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر – مصر، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.
٧. تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، ابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران - محمد عزير شمس، دار عطاءات العلم - دار ابن حزم، الرياض-بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٩. رؤى تأصيلية في طريق الحرية، صالح عبد الرحمن الحصين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٧ه-٢٠١٦م.
١٠. السبكي، أبو الحسن: فتاوى السبكي، دار المعارف.
١١. السمرقندي، ميزان الأصول في نتائج العقول، تحقيق: الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٢. سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم العذراء، القمص: يوسف أسعد، مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمرانية، الطبعة: الأولى، ١٩٧٦م، (ص:٣٦٩-٤١٠)؛ العذراء مريم والدة الإله، الأستاذة: إيريس حبيب المصري، الكنوز القبطية، ٢٠١٩م.
١٣. الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
١٤. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٦/ ٣٤٥)؛ التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، الكتاني، تحقيق: الخالدي، دار الأرقم – بيروت، الطبعة: الثانية.
١٥. فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع – الرياض.
١٦. فصول البدائع في أصول الشرائع، شمس الدين الفناري، المحقق: محمد حسين محمد

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.
١٧. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي، عُنى بتصحيحه (وتعليق بعض الزوائد عليه): محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طُبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، لصاحبها محمد إسماعيل، ط١، ١٣٢٤ هـ.
١٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق: عدد من الباحثين، أصل التحقيق: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
١٩. ماذا تعرف عن المسيحية، عبد الفتاح حسين الزيات، مركز الراية للنشر والإعلام، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٣م.
٢٠. المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، دار الثقافة المسيحية-دار الجيل للطباعة، القاهرة.
٢١. معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة: الثالثة، ١٩٦٣م.
٢٢. الموافقات، الشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٢٣. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أبو العباس التنبكتي، دار الكاتب، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٠ م.
٢٤. الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة، أنجيليكي غريغوري زياكا، مجلة التسامح العمانية، العدد: ٢٩.
٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

الكتب الأعجمية:

26. Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfī-, op. cit.
27. John of Damascus on Islam: The Heresy of the Ishmaelites, Daniel J. Sahas, Leiden: Brill, 1972.
28. History of Christian Arabic Literature (Geschichte Der Christlichen Arabischen Literatur , Georg Graf's, Città del Vaticano, 1947.
29. The Biography of Theodore Abū Qurrah Revisited, John C. Lamoreaux, Published By: Dumbarton Oaks, Trustees for Harvard University ,2002, Vol. 56, Theodore Abuqurra, La personne et son milieu, by Ignace Dick.
30. C. H. Dodd, interpreter of the New Testament, by F. W Dillistone, Eerdmans, 1977.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413